الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي - ميلة -

معهد: الآداب واللغات

ميدان:اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

الموضوعاتية في كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر الجزء الأول لمحمد الهادي السنوسي الزاهري

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبتين:

- ياسمينة بلمنيغر
- أحـــلام عتمـــة

إشراف الأستاذ:

- عبد الكريم طبيش

السنة الجامعية: 2011/2010.

بسم الله الرحمن الرحيم

دعـــــاء

« اللـهم اشرح لـي صدري

ويسر لـــي أمري

واحلل عقدة من لسانـي

يفقهوا قولـــي »

أميـــــن يا رب العالمين.

شكـــــر و تقدير

نشكر الله – عز وجل– قبل كل شيء على المقدرة والصبر الذي منّ بهما علينا لإنجاز هذا العمل وإتمامه.

كما نتقدم بفائق شكرنا إلى من علمنا أصول البحث وأفادنا بعلمه وخبرته إلى من وجهنا بنصائحه وأثرانا بتوجيهاته إلى من علمنا الصبر حتى أخرجنا للنور بحثنا المتواضع هذا فكان خير مشرف وخير موجه ونعم الأستاذ.

إليك أستاذنا عبد الكريم طبيش نهدي هذا العمل الذي لولاك أنت وفضل الله علينا لما كان.

كما نهديه إلى كل من الأستاذ "سليم بوعجاجة" و"إبراهيم لقان" اللذان لن ننس فضلهما علينا.

إهـــداء

كثيرون هم من يستحقون الثناء ويعدون أهلا لثنائي وشكري قد يكون صعبا جدا

أن أحصيهم فجميعهم يستحقون أن أهدي لهم هذا العمل المتواضع جدا، أهدي هذا العمل

إلى ذلك الصرح الشامخ إلى ذلك الذي كان رفيقا وموجها وراعيا ومحبا

إلى ذلك العظيم الذي آثر على نفسه الغالي والنفيس من أجل أن أصل إلى ما وصلت

إليه ضحى بأغلى سنوات العمر بأروع لحظات الحياة الذي إحترق كالشمعة لكي ينير لي دربي

إلى أبي الرائع أطال الله في عمره، أيضا كيف لي أن أنسى ذلك الحضن الدافئ ذلك السند

الغالي تلك الروح الغالية التي ما فتئت تلقي شتى أنواع خيوط الحب والحنان والرعاية،

أمي الغالية شكرا لكل تلك التضحيات يا أروع خلق الله. أيضا لا أنسى ذلك الذي

رافقني في مسيرتي وكان أحسن سند لي وأحسن رفيق ومعين، زوجي الغالي" محمد".

أيضا أهدي هذا العمل إلى جميع إخوتي كل واحد باسمه: ياسين، فاتح، حسام.

أيضا إلى جميع أخواتي: لبنى، نادية، سمية، لا أنسى أيضا زوجة أخي سلاف.

في الأخير لا أنسى كتاكيت العائلة وشموعها الدافئة:" تقي الدين، نور الهدى، سلسبيل،

عبد النور، طارق".

إلى رفيقات دربي:" أحلام، نسرين، فاطمة، أسماء".

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد، إليكم جميعا أهدي هذا العمل الجد متواضع.

شكرا جزيلا.

ياسمينة

إهـــــداء

أهدي ثمرة سنوات من الدراسة إلى من نطق لساني بإسمها لأول مرة، إلى من أفنت عمرها في سبيل نجاحي إلى من علمتني معنى الإصرار للوصول، إلى الهدف إلى من تعجز الكلمات عن رد جميلها أمي الغالية: "الزهراء".

إلى رفيقي دربي وسندي في الحياة، إلى من غمرني بعطفه وحنانه أبي الغالي: "عبد الله".

إلى روح الغالية المرحومة التي تركت برحيلها عنا فراغا لا يملؤه إلا الصبر والسلوان أختي الحبيبة: "سامية".

إلى أخواتي: الطيبة المكافحة نعيمة وزوجها علي، المتسامحة الصبورة عزيزة وزوجها جمال الطموحة المثابرة مريم وزوجها زهير.

إلى الأخوان العزيزان على قلبي: "جمال وكمال" وزوجيهما.

إلى طيور الفرح والبهجة الكتاكيت الصغار:" شهاب الدين، شرف الدين، شيماء، أيمن معتصم بالله، سيدرة، عبد الرحمان، والصغيرين الحبيبين: موسى وأيوب".

إلى الصادقة الأمينة منبع الحركة والنشاط داخل الأسرة: أختي الصغرى: "آمنة".

إلى الهادئ الصغير الكبير إلى صاحب الوجه الباسم أخي الصغير "حسام الدين".

إلى جميع أقاربي فردا فردا.

إلى روح جدتي دخموش خديجة وحراتي خديجة، وجدي عتمة أحمد وجوادي السبتي رحمهم الله وأسكنهم فسيح جنانه.

إلى صديقاتي: "ياسمينة– نسرين– فاطمة– أسماء– نوال".

إلى كل أحبائي من قريب أو من بعيد.

أحلام

مقدمـــــة:

هناك موضوعات كثيرة تتصل بالحياة الأدبية تستحق الاهتمام، وهي جديرة بأن تجد من الباحث عناية وتقديرا، ومن هذه المواضيع اخترنا الشعر الجزائري وبالتحديد موضوعنا هذا الموسوم بـــ "الموضوعاتية في كتاب شعراء الجزائر في العصر الحديث – الجزء الأول– هذا الكتاب الذي يعد أول خطوة يدخل بها الشعر الجزائري دور الحداثة، وهو محاولة جادة لنفض الغبار على المهمش والمنسي من الشعر الجزائري الحديث، جمع هذا الأدب في ديوان واحد.

الهدف من هذا البحث هو التعرف أكثر على الشعر الجزائري وإحيائه والتعرف على أهم الشعراء الجزائريين الذين ضمهم الكتاب، و إبراز ما في هذا الشعر من قيم وما فيه من قضايا عالجها الشعراء الجزائريون أثناء الاحتلال الفرنسي.

و"محمد الهادي السنوسي الزاهري" من هؤلاء الشعراء الذين ألهمهم حب الوطن وعبروا عن روح الشعب الجزائري وآلامه.

وهذا ما دفعنا إلى اختيار بحثنا هذا "الموضوعاتية في كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر".

وقد اتبعنا في بحثنا هذا المنهج التكاملي حيث ركزنا على كل من الفن والتاريخي لأننا وجدنا ذلك مناسبا لطرح الموضوع، وقد واجهتنا بعض الصعوبات في جمع المصادر والمراجع تمثلت في عناء التنقل من أجل الحصول على بعضها.

والبحث ينقسم إلى ثلاثة فصول مع مقدمة وتمهيد وخاتمة وقد قدمنا له بمدخل تطرقنا فيه إلى حالة الشعر الجزائري بعد الحرب العالمية الأولى من الناحية الاجتماعية والثقافية والسياسية.

عن الفصل الأول: فقد حاولنا أن نتحدث فيه عن محمد الهادي السنوسي الزاهري بدءا بحياته ثم تعلمه وعمله، قرضه الشعر، نشاطه الإصلاحي وفي الأخير تحدثنا عن أهم آثاره ووفاته، ثم انتقلنا إلى تعريف الكتاب من حيث الشكل والمضمون .

أما الفصل الثاني: فتعرضنا فيه إلى معرفة محتوى الجزء الأول من الكتاب حيث تطرقنا إلى أهم المواضيع التي تغنى بها شعراء الكتاب.

أما الفصل الثالث والأخير: فقد كان عبارة عن اختيارنا لقصيدة محمد العيد آل خليفة "في ذمة التاريخ". كان في البداية بشرح بعض المفردات الصعبة، ثم مناسبة القصيدة، تحليل هذه القصيدة ثم التطبيق عليها.

وآخر ما تضمنه هذا البحث الخاتمة التي احتوت على أهم نتائج البحث.

تمهيد:

يجدر بنا قبل دراسة بحثنا هذا الموسوم بالموضوعاتية في كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر"، من خلال الجزء الأول منه أن نلقي نظرة وجيزة على واقع الشعر الجزائري بعد الحرب العالمية الأولى من الناحية الثقافية، والاجتماعية والسياسية، فقوة الأدب أو ضعفه تتأثر بهذه العوامل المختلفة، فبعدما انتهت الحرب العالمية الأولى كانت تلك المؤثرات المختلفة قد فعلت فعلتها في نفوس الناشئة، فأخذ الأدب ينهض من عثرته متثاقلا وتكونت نخبة لا بأس بها من الشعراء اتجهوا إلى أنفسهم يبحثون عنها، وإلى الزمان يحملونه ما يقاسون من شقاء وما يلاقونه من حرمان. فالشعر في هذه الآونة بمثابة مرآة للمشاكل الاجتماعية، والسياسية والثقافية، فكانت الحرب العالمية الأولى من أشدها تأثيرا في التحول العميق الذي مس الجزائر، اقتصاديا وسياسيا وثقافيا واجتماعيا.

كانت تلك الأحداث بمثابة الصدمة العنيفة التي ردت الوعي إلى الجزائريين، فانتزعتهم من غيبوبة الشطحات الصوفية التي سادت القرن التاسع عشر، لتلقي بهم في حضارة القرن العشريين فاستفاقوا من غفوتهم وشمروا عن ساعدهم وشرعوا جديا فيما ينقضهم من ورطتهم، فراح الأدباء يعبرون عن آلام الشعب وطموحه فكان شعرهم كله حماسة وثورة على الجهل والفقر والمرض والحياة الاجتماعية القذرة فقد كانت الحياة التي عاشها الشعب الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي من أشدها تأثيرا في الشعر الجزائري.

فمن الناحية الاجتماعية كانت الجزائر قد وصلت إلى منعطف خطير من التدهور الاجتماعي، الذي أصبح يهدد كيان الأمة بالزوال، فزيادة على انتشار الفقر والبطالة والجهل

كان المجتمع الجزائري قد أصبح فريسة لقطاع الاستعمار ينهب الأرض، وإقطاع ديني يستنزف عقول الشعب بالتعاون مع المستعمر، فكان نتيجة لهذا الطابع التشاؤمي الذي غلب على قصيدة العشرينات، ففي مثل هذه الظروف لا يسع شاعرا رقيق الإحساس إلا البكاء على هذه الأمة، فالحالة المزرية التي يحياها الشعب حركت الأقلام الساكنة وراحت تعبر عن هذا الوضع الذي لا يسر عدوا ولا صديقا بسبب السياسة الاستعمارية العنصرية التي لا تعطي أهمية لإنسانية الإنسان، ولا يهمها سوى التقتيل والتجهيل والتجويع لشعب مسالم أعزل، وظل حال الجزائريين كما هو وازدادت النكبات والمآسي ومع مرور الزمن وتتالي الأيام بدأت بوادر نهضة فكرية شاملة تلوح في الأفق بالرغم من الظروف الاجتماعية القاسية والمناخ الأدبي المزري.

أما من الناحية الثقافية فقد استعمل الاستعمار جميع وسائل الإبادة الثقافية التي مارسها على الثقافة الجزائرية، فأغلق المدارس والمراكز الدينية التي كانت تنبعث منها هذه الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة، ومن أخطر وسائل الاستعمار كذلك تغريب الجزائريين عن اللغة العربية هكذا إذن حارب الاستعمار اللغة والثقافة العربية وضيق عليها الخناق في عقر دارها في حين وفر كل الظروف الملائمة لتعميم استعمال الفرنسية في جميع الميادين وفرضها بمنطق القوة والقوانين التي سنها.

لكن بالرغم من هذا فإن الشعب الجزائري يعرف بالتحدي وذلك من خلال ردات الفعل لمحاولات المسخ والتشويه كما حدث فيما وقع من ثورات ومرات أخرى تتجلى في إنشاء الجمعيات الدينية والسياسية التي اعتمدت على وسائل مختلفة للمقاومة، كما كان للحركة الإصلاحية دور كبير في بعث الشعر الجزائري وتطوره والصحافة أيضا لها الفضل في نهضة

أدبنا وشعرنا في تلك الفترة، وكان من أبرز هذه الصحف جريدة "المنتقد" التي تعتبر بمثابة النادي الثقافي الأدبي فمنذ أن ظهرت جريدة "المنتقد" عرفت الجزائر من أبنائها كتابا وشعراء، ما كانت تعرفهم من قبل، فدور الصحافة لا يمكن تجاهله، فهي من يصدع بالحق ويرنوا إلى تغيير الأوضاع، ثم إن ظهور الصحافة العربية في الجزائر كان باعثا قويا على انطلاق نشاط فكري وتوعوي في أوساط العامة من الناس والاطلاع على مختلف القضايا التي تهمهم في الأدب العربي من إنتاج جديد، وهي إلى جانب هذا استطاعت أن توحد خطى الفئة المثقفة نحو هدف واحد. هو العمل جماعيا في سبيل إحياء الشخصية العربية الإسلامية وتطعيمها بدماء جديدة، فقد أصاب الشعر على يد الحركة الإصلاحية تطور ملموس تجلى في ظهور شعر جديد يختلف كثيرا عن شعرها قبل الحرب العالمية الأولى، متعدد الأغراض يتماشى والواقع الاجتماعي، فظهر الشعر الوطني والإصلاحي والاجتماعي والسياسي، إلى هنا نستطيع القول بأن ارتباط الشعر الجزائري بالحركة الإصلاحية بعد الحرب العالمية الأولى كان باعثا قويا على تشجيع اللغة العربية ونشرها بكل الوسائل، وخدمة الثقافة العربية الإسلامية وإذاعتها في الأوساط الجزائرية.

كما دخل الشعر المعركة السياسية فكانت رسالة الشاعر بث الوعي السياسي في طبقات الشعب، والتصدي للمعارضين لمصلحة الشعب وحقوقه السياسية من الاندماجية عن طريق مشاركتهم في الحرب العالمية الأولى بأعداد هائلة، سواء كانوا جنودا أو عمالا في المصانع الفرنسية، فإن الجزائريين كانوا مندمجين في الحرب متأثرين بها بعمق، وقد كان لهذه المشاركة تأثير كبير على الجزائريين بحيث أنهم تأثروا بالأفكار الليبرالية التي كانت نشيطة آنذاك، خلال

الحرب العالمية الأولى، وهو ما أدى إلى تشكيل حركات سياسية مختلفة التوجهات وقد كان لهذه الحركات تأثير واضح وكبير على سير الأدب شعره ونثره فذهبوا إلى توظيف الشعر أداة للكفاح السياسي الوطني إلى جانب استخدامه أداة للإصلاح الاجتماعي، ولكن هذه النصوص لا تكاد تصرح بهذا الموقف نظرا للأوضاع الاستعمارية المعروفة.

وبذلك خرج الشعر الجزائري من الجمود والرتابة والمنظومات المطولة ومدح الأولياء إلى فضاء أوسع هو بناء قاعدة متينة للمجتمع كادت تطمس هويته ويفقد مقومات وجوده، فكان الشعر الجزائري عامرا بالروح الوطنية، ودافعا قويا إلى النهضة وتحقيق المشروع الإصلاحي الذي ينشده الجميع، تلك هي حالة الشعر الجزائري بعد الحرب العالمية الأولى، وهذا ما سنعرفه من خلال دراستنا لموضوعنا من خلال دراسة الموضوعاتية في كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" في الجزء الأول منه لأن هذا الكتاب يعد أول خطوة يدخل بها الشعر الجزائري دور الحداثة.

الفصل الأول:

محمد الهادي السنوسي الزاهري و كتابه

I. محمد الهادي السنوسي الزاهري.

1- حياته.

2- تعلمه وعمله.

3- قرضه الشعر.

4- نشاطه الإصلاحي.

5- وفاته وآثاره.

II- كتابه: التعريف بالكتاب.

1- الشكل.

2- المضمون.

لاشك أن الرواد في كل فن هم أحق الناس بالتعظيم والإجلال وأجدرهم بأن نعنى بسيرتهم وتخليد مآثرهم. ومما لاشك فيه أيضا أن الشاعر والأديب محمد الهادي السنوسي الزاهري هو أحد أولئك الرواد الذين أضاؤوا بأدبهم الوهاج دروب الوطنية الموحشة إبان الاستعمار، وذلك من خلال تأليفه لكتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" الذي يعتبر أول ديوان جزائري يضم بين دفتيه شعراء الجزائر في العصر الحاضر الذي يترجم حقيقة عن النهضة الأدبية بالجزائر وما وصلت إليه من الرقي والازدهار في هذه المدة.

I/ محمد الهادي السنوسي الزاهري:

1- حياتـــــه:

ولد محمد الهادي بن علي بن محمد بن السنوسي الزاهري نسبة إلى جده الأكبر "أبي زاهر" بحارة آل السنوسي في ربيع الأول من مواليد ليانة سنة "1320هـــ" بالقرب من بلدة لشانة ببسكرة"[1].،وهو ما أشار إليه الزاهري في كتابه "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" بقوله « ولدت بليانة وهي قرية من قرى الزاب الشرقي قبلة بسكرة النخيل بمنزلنا المعروف بحارة آل السنوسي في ربيع الأول سنة 1320 هـــ، عائلتنا من اشرف عائلات بلدنا ولقدمنا فيها إذ جدنا الأكبر "أبو زاهر" وهو المؤسس لها وواضع الحجر الأول فيها»"[2]

تربى الزاهري على يد كل من أبيه وأمه وجده وجدته من أمه وقد كان لأبيه حظ كبير في تربيته الروحية، بحيث أنه أدخله الكتاب القرآني حين أصبح في سن التعلم، "اقتسم تربيته والده وجده وجدته من أمه، اعتنى والده بتربيته الروحية...فادخله الكتاب القرآني ببلده لما صار في سن التعلم..."[3]

نشأ الزاهري في كنف عائلة محترمة ذات مال وجاه متمسكة بالدين الإسلامي وتعاليمه وتحفيظ القرآن الكريم للصغار، وهو ما كان شائعا لدى العائلات الجزائرية وخصوصا في البادية، أما سكان المدن المتأثرين بلغة المستعمر فإنهم يعلمون أبناءهم عكس تقاليد أبناء

---

[1] عاشور شرفي : الكتاب الجزائريون قاموس بيوغرافي، دار القصبة للنشر، 2008م، ص 198.

[2] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط1، بالمطبعة التنوسية، 1926م، ص184

[3] عبد الحميد غنام: محمد الهادي السنوسي الزاهري حياته وشعره،ط1، 2007م، ص 41.

وطنهم وتبعا للغة العمل، ثم إن عائلة محمد الهادي السنوسي ووالده خاصة كانوا ممن يعتنون بالقرآن حفظا وفهما، ولما يستلزمه من علوم الدين.

2- تعلمه وعلمه:

سبقت الإشارة إلى عناية والده بتربيته الروحية، وإدخاله الكتاب القرآني وتحفيظه القرآن الكريم وبعض أشعار العرب، ومع إنهائه حفظ القرآن قرر والده إرساله لمزاولة الدراسة، ومن حسن حظ الوالد والولد إن زار الشيخ عبد الحميد بن باديس قريتهم، فطرح عليه أهل القرية فكرة إرسال فريق من أبناءهم إليه بقسنطينة حيث يعلم، فكان رد الإمام عبد الحميد بن باديس بالقبول والاستجابة لطلبهم هذا، وقد أكد هذا القول الزاهري بقوله:« بعد أن أتممت القرآن رأى والدي أن لابد من إرسالي في طلب العلم ولحسن« الحظ وافى غرضه هذا قدوم الأستاذ الكبير العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس لبلدنا...»"[1].

ذهب محمد الهادي السنوسي إلى قسنطينة وتعلم على يد ابن باديس أستاذه الوحيد الذي لم يذكر غيره في ترجمة حياته «فقرأ عليه كتبا في اللغة وقواعدها والإنشاء وكتبا في التوحيد، وشيئا في الفقه مثل بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد، وفي التفسير شيئا ليس باليسير وسيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم، وأبطال الجزيرة العربية من الصحابة ولازمه قرابة سبع سنين»[2] فكان لدروسه وتوجيهاته الأثر الطيب في إحداث نقلة كبيرة في حياته، مما هداه إلى المنهج القويم في العقيدة وفي الفكر وفي نظرته للحياة والناس فساعده ذلك على الخروج مما كان منغمسا فيه من أجواء بيئته الصوفية. إذ يقول: «كنت قبل صحبتي لهذا

---

(1) محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مرجع سابق، ص 185

(2) عبد الحميد غنام: محمد الهادي السنوسي حياته وشعره، مرجع سابق، ص 43.

الأستاذ الإمام ولوعا بأباطيل الخرافيين من الطرقيين راسخ اليقين في الإيمان بطواغيت الدجالين ولقد أصبحت والحمد لله حر الضمير والعقيدة والفكر راسخ اليقين في أن الإصلاح هو ما جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– لا التصوف وما يدعيه الصوفيين أو المتصوفون»[1]

حاول السنوسي أن يسافر إلى مصر عام1924 م ليواصل تعلمه فمنعته سلطات الاحتلال الفرنسي من ذلك بحجة أن والده رفض فكرة سفره، وقد أشار الدكتور "عبد الحميد غنام" إلى هذا بقوله: «ومن المعلوم أن السنوسي كان يتعلم على يد ابن باديس بقسنطينة وحاول السفر إلى مصر عام(1342هـ–1924م) ليواصل تعلمه فحالت سلطات الدولة المستعمرة بينه وبين رغبته بدعوى أن ولي أمره لم يوافق على ذلك وأرجعته من الباخرة» "[2].فعكف على عملية التحصيل الذاتي ومضى ينهل من كتب الثقافة العربية الإسلامية فكان ذلك ما مكنه من توسيع زاده المعرفي.

في سنة1343هـ–1925م انتخب ممثلا للشبيبة ومروجا لجريدتي المنتقد ثم الشهاب وقد كان عبد الحميد بن باديس رئيس تحرير كل منهما. «وفي سنة1925م صدرت في قسنطينة "المنتقد" التي كان رئيس تحريرها عبد الحميد بن باديس فقضت عليها فرنسا في نفس السنة، اصدر بعد ذلك "الشهاب" التي عمرت عشر سنوات وكان لها أثر كبير في النهضة» [3]

---

(1) محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مرجع سابق،ص186

(2) عبد الحميد غنام: محمد الهادي السنوسي الزاهري حياته وشعره، مرجع سابق، ص45

(3) الوناس شعباني : تطور الشعب الجزائري منذ سنة 1945 حتى سنة 1980م، ديوان المطبوعات الجامعية، دت، ص14

حيث أن "محمد الهادي" كان محررا ومتجولا في جريدة الشهاب «ولو تصفحنا أعداد كثيرة في هذه المجلة لوجدنا محمد العيد، ومحمد الهادي السنوسي، وسحنونا والزاهري، وأبا اليقظان في طليعة الشعراء الذين كانوا ينشرون أشعارهم بالشهاب» [1]

وفي سنة1344هـ-1926م تنحى عن تمثيل الشبيبة الجزائرية وانشغل بطبع كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" وأخرج الجزء الأول منه بتونس في السنة المذكورة سابقا، كما أخرج الجزء الثاني سنة1927م، بالإضافة إلى ذلك علم بالمدارس الحرة التي بناها الشعب من ماله الخاص.

حيث يبين أحد زملاء الأستاذ "محمد الصالح رمضان" أن الزاهري علم بمدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة، والتحق بها حوالي عام1928م، وبعد أن أتم طبع كتابه "شعراء الجزائر" ونشره اتجه بعد ذلك لتعليم الناشئة بالمدارس الحرة، فكانت أول مدرسة علم بها مدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر عندما كانت بشارع الانتصار حوالي سنة1928م، كما انه كان أول مدير لهذه المدرسة.

أما حياته في أوربا-فرنسا- فقد انتقل إليها في أواخر سنة1937م لإرشاد الجالية الجزائرية بباريس وتمتين الروابط بينها وبين وطنها ولغتها، ودينها وبقي بمفرده ثلاثة أشهر ثم رجع إلى تلمسان. واصطحب معه عائلته إلى مكان عمله، واستقر بحي "إكليشي" ثم تحول إلى حي "نانتير" والتحق بإخوانه بباريس.

---

[1] الوناس شعباني : تطور الشعر الجزائري منذ سنة1945م حتى سنة 1980م، ديوان المطبوعات الجامعية، دت، دط، ص14.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية(1939- 1945م) رجع الهادي السنوسي بعائلته إلى أرض الوطن، وعمل بعدها بالإذاعة «اشتغل بالإذاعة الجزائرية خلال الاستعمار الفرنسي زمن الحرب العالمية الثانية»[1] وعقب الاستقلال راسل الأستاذ الهادي مدير التعليم الثانوي بوزارة المعارف في1962/12/5م ثم اشتغل أستاذ التعليم الثانوي في سنة1974م في مدينة الجزائر ليقوم بواجب خدمة لغة البلاد، حيث علم بثانوية حسيبة بن بوعلي، ثم بثانوية عائشة بحسين داي كما أنه علم بثانوية المقراني.

«أما الأعمال العامة والأحداث الوطنية فقد تابع السنوسي جميع الجوانب فيها فقد أيد المنهج الذي اختارته البلاد في سيرها والذي يتماشى ومبادئ الدين الإسلامي التي كان يدعو إليها والتي من بينها الابتعاد عن الإقطاعية التي تتحكم في ثروات البلاد وهو أحد العوامل الذي كان سببا في قيام الثورة التحريرية، فكان مما وافق أمل الشعب المنشود، وعبر السنوسي عن رأيه هذا عندما دعا إلى تطبيق المنهج الاشتراكي في قصيدتي "لقمة العيش" و"فديت بالشهيد"»[2]

---

[1] عاشور شرفي: الكتاب الجزائريون قاموس بيوغرافي: مرجع سابق، ص 198

[2] عبد الحميد غنام: محمد الهادي السنوسي الزاهري حياته وشعره، مرجع سابق، ص50.

3- قرضه الشعر:

تحصل الزاهري على ملكة وذوق خاص في أوزان بحور من الشعر كالطويل والبسيط والخفيف والوافر وغيره، ولعل ذلك يعود إلى أيام الطلب في مجالس الإمام عبد الحميد بن باديس، ذلك أن الإمام كان يشجع طلابه على تعاطي الخطابة ونظم الشعر إذ يروي ذلك بنفسه يقول: «بدأت أنظم الشعر باقتراحات يقترحها الأستاذ على بعض التلامذة فيعطينا القصيدة والبيت والبيتين ويفرض جائزة للمجيد في التخميس أو التشطير، كنت أجهد نفسي في ذلك حتى تحصلت على شبه ملكة شعرية»[1]

ومن هذه البدايات تدرج السنوسي في هذا الطريق إلى أن أجاد هذه الصنعة، إذ كان ينظم القصيدة حتى إذا ختم الأستاذ عبد الحميد بن باديس درس التفسير ألقاها على المحفل الحاشد، الأمر الذي زرع في نفس الزاهري نشاطا لما كان يراه من تقبل واستحسان الجمهور لما يلقيه. وهذه أبيات القها بعد ختمه لسورة الأنفال سنة 1343هـ:

الحق أثبت في النفوس وأكبر أدعوا به فهو السراج الأكبر.

هذا كتاب الله جل بيانه قضت الممالك دونه والأعصر[2]

شارك الزاهري بإنتاجه في معظم ما تناوله شعراء جيله من مضامين إصلاحية واجتماعية، وطنية وقومية ذاتية وإنسانية، ومما كان شائعا أن الزاهري كان ينشر أشعاره في جريدة "المنتقد" و "مجلة الشهاب" وبعض الصحف الأخرى.

---

(1) محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مرجع سابق، ص187

(2) المرجع السابق، ص 187

كان للزاهري إسهاماته وإبداعاته في ميدان الشعر، فأخذ يجمع ما أنتجه قبل عام 1927م إضافة إلى إنتاجات زملائه من الشعر قام بطبعه في كتاب سماه "شعراء الجزائر في العصر الحاضر".

وباعتباره أول ديوان شعري جزائري أقام له أدباء وشعراء الجزائر وتونس حفلات تكريم في كلا القطرين، حيث جعلت أدبهم في متناول يد القارئ الذي كان قليلا ما يجد قصائدهم متناثرة هنا وهناك. إما عند الشعراء أنفسهم أو في الجرائد التي كانت كثيرا ما توقف عن الصدور، وقد وصف الأدباء السنوسي بالشاعر والكاتب بحيث كانت له إسهامات في مجال النثر وذلك بمشاركته بجملة من الفنون النثرية من أهمها: فن الخطابة، فقد كان الزاهري خطيبا قوي الشخصية، دامغ الحجة، عميق الأفكار، إضافة إلى فن الخطابة برع الزاهري كذلك في فن المقالة بحيث ساهم في كتابة جملة من أنواع المقالة من بينها الإصلاحية والاجتماعية والوطنية «وقد وصف الأدباء والشعراء السنوسي بالشاعر والكاتب والخطيب، وذي البصر باللغة والأسلوب والمعنى ومنهم محمد الصالح رمضان»[1]

يميل أسلوبه إلى شعر المشارقة في القوة والفخامة والعناية باللفظ وهو ولوع بالعربية وهذا محمد الهادي السنوسي أحد شعراء تلك الفترة يعبر عن المكانة المرموقة التي كان هذا الأدب يحتلها في نفوس الأدباء الجزائريين ويعترف بفضل الشعراء المشارقة ومزيتهم في نشأة الشعر الجزائري يقول: «من منا معشر الأدباء الجزائريين من لم يفتح عينيه منذ انتهت الحرب الكبرى الأولى (14-18) على ما ظلت تنتجه مدرسة إسماعيل صبري وحافظ وشوقي وطه

(1) عبد الحميد غنام: محمد الهادي السنوسي الزاهري حياته وشعره، مرجع سابق، ص55

حسين والعقاد واحمد أمين والمنفلوطي والزيات وغيرهم من رجال الرعيل الثاني للنهضة العربية الأدبية في الأقطار العربية»[1]

[1] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ط1، دار العرب الاسلامي، 1965م، ص52

4- نشاطه الإصلاحي:

لقد وصلت الجزائر إلى هذا المنعرج الخطير في حياتها الدينية والفكرية، عقيدة شوهتها الأضاليل و تسلط عليها المستعمر، فجردها من براءتها الأصيلة، وسالف دورها الحفاظي الذي قامت من أجله، وسخرها لأغراضه وسخر أقلامها للدعاية له والتنويه به وألسنتها بالدعوة لطاعته وفي هذا المنعرج الخطير الذي كاد يقضي فيه المستعمر على الشخصية الوطنية، كانت في زوايا متعددة من القطر الجزائري إرهاصات تبشر بوجهة جديدة للحياة الدينية والفكرية، فنشطت حركة الإصلاح وتكالبت قوى الاحتلال للبطش بها وسجنها وتخريب عقول ومعتقدات أبنائها، فاتخذت من بعض من تسمو برجال الطرق والزوايا ركيزة لتنصير أبناء الجزائر وإخراجهم من دائرة الدين الإسلامي فتصدى رجال الإصلاح لرد كيد المستعمر من أمثال الشيخ "المولود ابن الصديق الحافظي" الذي سبق له ورود العديد من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.ومن بينهم محمد الهادي السنوسي الزاهري مرشدا وموضحا، الغرض من ذلك الشرح بإيراد ما جاء في كتب الحديث وخاصة شرح ابن الحجر، كما تصدى محمد الهادي السنوسي للرد على صفحات الجرائد بالرد على أعمال الجمعية الدينية لمسجد سيدي بلعباس، وذلك ما للصحافة من أهمية في تنوير الرأي العام وبث الوعي الاجتماعي والقومي والسياسي، فأسسوا صحفا «كانت مدرسة كبرى للوطنية، ومصلحا عظيما للمجتمع ومثقفا كفءا للشعب ومنبرا للخطباء والأدباء ولعبت دورا كبيرا في إحياء اللغة وإعطائها المرونة والحيوية»[1] ومن أشهر تلك الصحف "الشهاب" التي أصدرها الإمام ابن

[1] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م، ص 432

باديس وأتباعه في1925/01/12م «وقد ساعدت الشهاب على نشر النهضة العربية والإسلامية والفكر القومي والاتجاه الوطني والإصلاح الإسلامي والاعتزاز بالعروبة والحضارة العربية الإسلامية والتراث الفكري العربي، وغيرها من أساسيات الثقافة الإسلامية العربية و القومية وهي أسس النهضة الحقيقية في كل زمان ومكان»[1].

فقام السنوسي بكشف أمر هذه الجمعية التي كما قال: «كانت أحق باسم آخر من هذا ونعتها بما تقوم به من محاربة كتاب الله» ، كما قاوم السنوسي البدع والخرافات التي ألصقت بالدين عندما سد الاستعمار كل الطرق التفكير والتعلم على الجزائريين، وانتشر الجهل بينهم، ويقول السنوسي عن هدف دعاة الإصلاح لبني ملتهم في التمسك بالعقل وحرية الإرادة والإقلاع عن التقليد الأعمى وإتباع العارفين من العلماء بأحكام الله في كتابه وسنة رسوله الكريم، دون انتظار أجر على ذلك، والابتعاد عن المبطلين الخرافيين أصحاب بعض الطرق والزوايا المنحرفة عن دين الله ورسوله، والسائرين في ركاب الاستعمار، الضاربين بمصلحة الأمة والوطن عرض الحائط.

كما كان الهادي السنوسي نائبا في جريدة "المنتقد" التي كانت أول جريدة أصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1925 وكان السنوسي مروجا لها، وكان أثناء تجوله للتعريف بها في أنحاء القطر ونشرها ويزودها بمشاهدته وملاحظاته. «وقد كانت "المنتقد" منذ البداية حارة

---

[1] رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية بالجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، ط5، 2001م، ص295

اللهجة شديدة الانتقاد لتصرفات الإدارة الاستعمارية ضد الشعب الجزائري، قوية الحملة على البدع والأوضاع الطرقية المتردية... »[1]

كما طلبت منه جمعية العلماء في إطار مشروعها الدعوي الإصلاحي بالسفر إلى فرنسا ليسهم إلى جانب شيوخها في عملية الوعظ والإرشاد والتوجيه والتكوين بين المغتربين.

كما كان السنوسي عضوا في نادي الترقي ومشاركا فيه والذي انبثقت عنه كثيرا من الأفكار الوطنية كفكرة جمعية العلماء والمؤتمر الإسلامي ومشروع البصائر « فنادي الترقي كان بمثابة للأدباء والشعراء تلقى فيه الخطب الحماسية والقصائد الرائعة والأبحاث الهامة في مستواها الشعبي أحيانا، وفي مستواها العلمي أحيانا أخرى، ومن الشعراء والأدباء الذين لمعوا فيه وذاع صيتهم منه محمد العيد، والعمودي وبكوشة والزاهري والسنوسي»[2]

---

[1] رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص296

[2] أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 116

5- وفاته وآثاره:

أصيب السنوسي بشلل نصفي جعله حبيس المنزل لمدة أربع سنوات إلى أن وافاه أجله ليلة الجمعة الثاني عشر من رمضان عام ألف وثلاث مئة وأربعة وتسعون هجري (1394هـ) الموافق للرابع من أكتوبر ألف وتسعمئة وأربعة وسبعون ميلادي (1974م) ودفن بمقبرة القبة بالعاصمة.

وتتمثل آثاره في طبع كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" بجزأيه الأول والثاني عامي(1926م) ألف وتسعمئة وستة وعشرين ميلادي وألف وتسعمئة وسبعة وعشرين ميلادي(1927م) يحتوي على قصائد واحد وعشين شاعرا من بينهم شعر السنوسي نفسه «ويعد هذا الكتاب بمثابة اللبنة الأولى في المادة الأدبية والمرجع الأساسي إلى اليوم للأدب الجزائري الحديث »[1] ، كما قوبل صدور هذا الكتاب بالحفاوة الكبيرة في الأوساط الأدبية في كل من الجزائر وتونس وجماعة الأدباء ببسكرة، وقد أتاح هذا العمل المجال لبروز عدد من الخطب والقصائد الشعرية الجديدة التي نشرت بالجزء الثاني من الكتاب المذكور، وصدرت مقالات نوهت طبع كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر أدرجت في الجزء الثاني منه « وللهادي تسع تراجم لزملائه في الجزء الأول والثاني من " شعراء الجزائر" كما أن له إنتاجا آخر غير الشعر وله مكانته في العصر الحديث وهو المسرح»[2] الذي ألف فيه سبع تمثيليات ولعله الرائد في هذا الجانب من بين إخوانه الأدباء الجزائريين الذين لم يتجاوز المكثر منهم تمثيليتين أو ثلاث، وإن كان بعضهم قد طبع واحدة أو اثنين فان السنوسي لم يطبع من تمثيلياته أي واحدة،

---

[1] عبد الحميد غنام: محمد الهادي السنوسي الزاهري حياته وشعره، مرجع سابق، ص70.

[2] المرجع السابق، ص 70

ويظهر من مضمونها أنه كان يهدف إلى نشر الوعي الاجتماعي والديني والتاريخ الإسلامي في الأوساط الشعبية، وقد أجاد السنوسي في كتابتها بأسلوبه التشويقي.

وفيما يلي عناوين التمثيليات:

1- موكب الربيع: تمثيلية أدبية في 13 صفحة.

2- مولد النبي المنتظر: (في اثني عشرة صفحة).

3- هجرة الرسول: (رواية ذات ثلاثة فصول في 16 صفحة).

4- غضبة الملوك: (رواية ذات ثلاثة فصول في 20 صفحة).

5- زواج بوران: تمثيلية اجتماعية تاريخية في 24 صفحة.

6- زواج بالرضى: تمثيلية ذات ثلاثة فصول في 21 صفحة.

7- الجنة المحترقة: تمثيلية في 20 صفحة.

كما توجد آثار أخرى لمحمد الهادي تتمثل في: مقال الإحساس والشعور-مقال سلام من شهداء العالم مقال حول مدرسة سيدي بلعباس- مقال لاشيء يقف في سبيل الحق، وثلاثة عشر مقالا من بينها إجابة على سؤالين: الأول يوضح فيها تسعة أمثال عربية، والثاني من نشأة وحياة المغني الشهير "زرياب" ونشرت المواضيع الثلاثة عشر بمجلة "هنا الجزائر".

II/ كتابه: التعريف بالكتاب.

1- الشكل:

مما لاشك فيه أن "كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر": لمؤلفه "محمد الهادي السنوسي الزاهري" من أعظم الكتب التي تُركت للتراث الجزائري وذلك لكونه يستعرض أول تجربة شعرية هدف من خلالها إلى جمع أشعار شعراء الجزائر في كتاب واحد، صدر الجزء الأول منه سنة ألف وتسعمئة وست وعشرين لجامعه وناشره ومفسر ألفاظه "محمد الهادي السنوسي الزاهري"، طبع بالمطبعة التونسية-نهج سوق البلاط عدد 57- بتونس سنة1344هـ-1926م طبع من ورق صقيل بحروف جميلة، عدد صفحاته مئتين وخمسة، يفتتح السنوسي الزاهري كتابه بإهداء على شكل قصيدة بعنوان "روحي لكم" يقوم فيها بشكر الشعراء الذين كان لهم الفضل في تأليفه لهذا الكتاب- ثم يلي الإهداء بمقدمة للكتاب يذكر من خلالها دوافع كتابته لهذا الديوان والصعوبات التي واجهته كما يذكر كذلك نظام الكتاب إجمالا ذلك أنه كان ينوي وضع الشعراء حسب حروف المعجم إذ يقول: «كنت متبعا الاصطلاحات الجارية من وضع الشعراء على حروف المعجم ولكن أبى علي ذلك المتخلفون الذين لازلت انتظرهم والكتاب تحت الطبع قريب التمام لأجل هذا عدلت عن فكرتي الأولى مضطرا»[1].

يحتوي الكتاب على أربع وخمسين قصيدة وأحد عشر شاعرا كل شاعر مرفوق بصورته وذلك تحلية للكتاب إذ يقول "الهادي السنوسي الزاهري" في هذا الشأن « وقد حوى

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، مرجع سابق، ص 11

هذا السفر النفيس طائفة من جيد الشعر ومفيده مما هو عنوان على النهضة القومية بالقطر الشقيق وقد ترجم المؤلف لكل شاعر من الشعراء الذين نشر قصائدهم مع صورة لكل واحد منهم، فجاء هذا السفر على غاية من الفائدة مما صار به من الواجب على كل أديب ومفكر الاطلاع عليه»[1]

إضافة إلى ما قلناه سابقا فقد قام السنوسي الزاهري بانتهاج طريقة ميسرة قام من خلالها بشرح المصطلحات الصعبة لكل قصيدة بالإضافة إلى شرح المصطلحات فقد أرفق بعض القصائد بتعليق وشرح موجز في حين استثنى البعض منها. إذ يقول: « لم اعلق على بعض القصائد اقتصارا على ما تقدم في نظائرها من قصائد الأولين»[2]

وفي ختمه للكتاب وضع السنوسي الزاهري جدولا يبين فيه الصواب من الخطأ وذلك بوضع بعض المصطلحات الخاطئة وتصحيحها في المقابل.

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج2، بالمطبعة التونسية، 1927م، ص21.
[2] محمد الهادي السنوسي الزاهري : شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، مرجع سابق، ص202.

2- المضمون:

يعتبر كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر لمؤلفه "محمد الهادي السنوسي الزاهري" أول ديوان شعري جزائري يضم بين دفتيه شعراء الجزائر، صدر الجزء الأول من هذا الكتاب سنة ألف وتسعمئة وستة وعشرين يضم أحد عشر شاعرا من بينهم صاحب الكتاب و(محمد العيد حم علي (آل خليفة)، محمد اللقاني بن السائح، محمد السعيد الزاهري، الجنيد أحمد المكي، أبو اليقظان، الشيخ الطيب العقبي، مفدي زكريا بن سليمان، أحمد كاتب ابن الغزالي، رمضان حمود بن سليمان، إبراهيم بن نوح امتياز)، وصدر الجزء الثاني منه في السنة الموالية(ألف وتسعمئة وسبعة وعشرين. ويضم كل من (الأمين العمودي، محمد المولود بن الموهوب، الطاهر بن عبد السلام، حسن أبو الحبال، محمد الصالح خبشاش، المولود الزريبي، محمد العلمي، محمد بن الحاج، إبراهيم الطرابلسي، أحمد بن

يحي الأكحل، محمود بن ذويدة).

2-1- دوافع تأليف الكتاب:

قام السنوسي الزاهري بمبادرة طيبة تمثلت في جمع أشعار شعراء الجزائر التي كانت مبعثرة هنا وهناك ووضعها في ديوان واحد، حتى يتسنى للدارس أو الباحث التعرف على أشعار هؤلاء الشعراء وكذلك حتى تبقى أسماء هؤلاء الشعراء خالدة عبر التاريخ.

ولعل مبادرة السنوسي هذه نتجت من خلال ما شهده عن الأدباء في مصر، والشام والعراق وتونس من اعتناء ببعضهم بحيث يجمع لكل أدباء عصره بعضا من شعرهم في كتاب يخصهم حبا في التآخي والتآلف بينهم ورغبة في الإرتقاء بفنهم، وقد عبر الزاهري عن هذا بنفسه إذ يقول: « كنت كلما رأيت من تلك الكتب كتابا إلا وتمنيت لشعرائنا من يهتم بمثل واحد منها لهم ولم تزل أمنيتي في فؤادي ذرة في صدفتها حتى سمعت بلابل تشدو وفي شدوها غير هازلة »[1]

2-2- منهج الكتابة:

انتهج الزاهري في كتابته لديوانه " شعراء الجزائر في العصر الحاضر" طريقة عصرية بحيث أنه اشترط على الشعراء الذين بعثوا إليه بأشعارهم بأن لا يضمنوها أغراض المدح والهجاء والرثاء، ما لم يكن رثاء أو مدح في شخصية تستحق ذلك « لما بينها وبين الحقيقة اليوم من التباين، وهي لا تفيدنا معنى اجتماعيا وعلى الأخص في بيئتنا»[2]، ولأن وضع الجزائر آنذاك كان يتطلب شعرا تحريضيا إصلاحيا.

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري : شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، مرجع سابق، ص7.
[2] المرجع نفسه، ص10.

وقد وردت قصيدة لمحمد العيد آل خليفة بعنوان "في ذمة التاريخ" قام فيها محمد العيد برثاء شهداء باخرة (سيدي فروج)، وله قصيدة أخرى في غرض الرثاء بعنوان "رثاء رشيد" هذا البطل الذي احتل مكانة كبيرة لدى معظم الشعراء فهذا الشيخ الطيب العقبي يقول عنه:

مات الرشيد شهيد العلم مظلوما لم نقضه حقه إذ عاش محروما.

قضى ولم يقض من حاجته وطرا جنى عليه قضاءا كان محتوما.[1]

وقد جسدت قصة الشهيد الجزائري رشيد كمسرحية بحيث أن جريدة المنتقد كما يذكر الدكتور "عبد الله الركيبي" وجدت في هذه المسرحية مثارا لكوامن الشعراء « وتجد جريدة المنتقد في المسرحية مثارا لكوامن الشعراء فتقترح عليهم رثاء رشيد الجزائري بطل المسرحية وشهيد العدل والمساواة ». [2]

والدارس لشعر الشعراء الذين ورد ذكرهم في كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" يلحظ بالإضافة إلى غياب الأغراض المذكورة آنفا غياب غرض آخر وهو غرض الغزل، حتى أن "محمد اللقاني بن السائح" يوجه نداءا إلى الشعراء بترك هذا الغرض إذ يقول:

ألا فدع التغزل في غوان فتلك طريقة المستهترينا

فمن صوت البلاد لنا نداء يكاد المرء يسمعه أنينا. [3]

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، مرجع سابق، ص136.
[2] عبد الله الركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، بمطبعة القلم، تونس، 1983م، ص137-138.
[3] مرجع سابق، ص39.

وقد يعود صرف نظر معظم الشعراء عن هذا الغرض إنتماؤهم إلى حركة إصلاحية سلفية، من أهم مبادئها الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة فراحوا يتمسكون بالسلفية فيما يكتبون من أشعار.

2-3- الاقتباس والتضمين:

وقد عني معظم الشعراء الإصلاحيين بالقرآن الكريم وبالتراث العربي القديم ووظفوه في أشعارهم سوءا عن طريق الاقتباس أو التضمين فمن التضمين نذكر ما قاله أبو اليقظان:

يراعي كان في الدنيا طبيبا بدواء رأس من يشكو الصداعا. [1]

وهو مأخوذ من قول عنترة بن شداد:

وسيفي في الهيجا طبيبا يداوي رأس من يشكو الصداعا. [2]

فظاهرة الاقتباس والتضمين كما تحدث عنها "محمد ناصر" تعتبر « دليل آخر على إعجاب الشاعر وتأثره بالمصدر الذي يقتبس منه، هذا حين يضمن الأثر المقتبس في ثنايا شعره كما ينبئك عن ثقافة الشاعر ونوعيتها ». [3]

2-4- اللغة الخطابية:

بالإضافة إلى شيوع ظاهرة الاقتباس والتضمين نجد كذلك أسلوب الخطاب الذي اعتمده معظم الشعراء الذين ورد ذكرهم في كتاب " شعراء الجزائر في العصر الحاضر" بحيث أن شعرهم جاء عبارة عن الرسالة موجهة إلى الشعب الجزائري بدرجة أولى يدعوهم

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، مرجع سابق، ص39.
[2] ديوان عنترة، دار صادر بيروت، د ت،ص 171.
[3] محمد ناصر: رمضان حمود حياته وآثاره، ط2، سنة1985م، ص42.

إلى النهوض من حالة الركود والجهل التي سيطرت عليهم ذلك أن النزعة الخطابية والطريقة التقريرية كما قال محمد ناصر: « من أبرز سمات شعر عهد الإصلاح ولعل هذا يعود إلى أن أغلب الشعراء كانوا أصحاب رسالة يتوجهون بها إلى الجماهير الشعبية ». [1]

2-5- النظرة التشاؤمية:

إن تأثر شعراء الجزائر بالحالة المزرية التي آل إليها الشعب الجزائري هو ما جعل أشعارهم تطبع بنوع من الكآبة والتشاؤم ،كما ذكر معظم الدارسين لأشعارهم « وأنت تتصفح تراجم شعراء الجزائر في كتاب الزاهري تستوقفك مع كل قصيدة تلك الغلالة السوداء التي تتسدل على أعين غالبية الشعراء كما تسمع حشرجة تخنق أصواتهم المبحوحة بالألم ». [2]

إذن فالأوضاع المؤلمة التي فرضها المستعمر آنذاك تعد مؤثرا أساسيا في سيطرة مشاعر الحزن والكآبة التي لونت الشعر الجزائري آنذاك حتى أصبحت طابعا عاما يميز معظم الإنتاج الشعري الذي ظهر في فترة العشرينات.

2-6- الصحافة:

لقد كان للصحافة دور كبير في نشر أشعار شعراء الجزائر حيث أن أغلبية أشعارهم كانت تنشر في الصحف والمجلات كجريدة "الشهاب" و"المنتقد"، "صدى الصحراء" وهو ما جعل معظم الشعراء يؤلفون قصائد يشيدون من خلالها إلى دور الصحافة في تنوير العقول ونشر العلم والمعرفة فهذا أبو اليقظان يقول في قصيدته "الصحافة":

---

[1] محمد ناصر: رمضان حمود حياته وآثاره ، مرجع سابق، ص42.

[2] عبد الله حمادي: أصوات من الأدب الجزائري الحديث، دار البعث قسنطينة، 2001م، ص28.

إن الصحافة للشعوب حياة والشعب من غير اللسان مواة.

فهي اللسان المفصح الذلق الذي ببيانه تتدارك الغايات.

فهي الوسيلة للسعادة والهنا وإلى الفضائل والعلا مرقاة. [1]

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر مرجع سابق، ص115

الفصل الثاني:

محتوى الجزء الأول من كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر

I- الشعراء الذين ورد ذكرهم في الجزء الأول من كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر".

II-المواضيع التي تناولها الشعراء:

1-الشعر الوطني.

2-الشعر البطولي.

3- الشعر القومي.

4- شعر الغزل السياسي.

5- الشعر الديني.

بعد أن قدمنا تلك الحياة الخاصة بالأديب محمد الهادي السنوسي الزاهري، ارتأينا أن نقوم بإحصاء لنتاجه الأدبي المتمثل في جمعه للقصائد الخليلية، لحقبة زمنية عصيبة مرت بها الجزائر صدرت من ثلة من شعرائها الذين سخروا أقلامهم لخدمة الوطن، والتي دونوها في كتابه المرسوم ب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" وقد ورد ذكر هؤلاء الشعراء في جزئيه الأول والثاني وسنبين من خلال الجزء الأول باستخدام جدول يوضح اسم الشاعر وعنوان قصائده مع عددها، فالصفحات المثبتة فيها ثم التطرق لمختلف الموضوعات التي تناولها شعراء الكتاب.

I / الشعراء الذين ورد ذكرهم في الجزء الأول من كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر":

اسم الشاعر	عنوان القصيدة	عدد القصائد	الصفحة
1- محمد العيد آل خليفة (محمد العيد حم علي)	- في ذمة التاريخ - أسطر الكون - ما بال آشيل يهذي - رثاء رشيد - الشهاب يحي الشباب - حياة نشاط	**06**	13 - 17 - 20 - 23 - 25 - 27 -
2- محمد اللقاني بن السائح	- النصر العزيز - إلى الشعب الجزائري - إلى رجال العمل إلى الشباب الناهض - تحية الجزائريين بصحيفة الجزائر - إلى دين الحق إلى العلم الصحيح إلى الصحافة الحرة - كلمة الشاعر - كأن قلوبهم خلقت حديدا - يا بلادي	**08**	33 36 39 42 45 50 54 56
3- محمد السعيد الزاهري	- "الجزائر "تحي" الجزائر" - الجزائر تحيي المتطوعين - إلى زعيم الجزائر بالإسكندرية - ليت قومي يعلمون	**12**	68 72 76 79

	– الشعر الفحل		82
	– الناس والدهر		86
	– وما الناس إلا اثنان		89
	– اجتماع الضدين		92
	– الإفراط		93
	– امض لحالك		94
	– يوم الانتخاب		94
	فلا تحسبوني ناسيا		94
4– الجنيد أحمد مكي	– القرآن	**05**	101
	– تهنئة الولد		103
	–حقيقة لا خيال أو شاعرنا في وطن غربته		103
	– أين الجدود؟		105
	– وقفة بجبل عالي الناس		106
5– أبو اليقظان	– الصحافة	**04**	115
	– مدارج الخلاص والتحرير		117
	– وداع الوطن		120
	– تهنئة بنفي		122
6– الشيخ الطيب العقبي	– رد التحية فرض	**04**	130
	– بين شوقي بك وأبي العلاء المعري		137
	– الأقلام أسلاك المناجاة		146
	– بين شاعرنا وأمير الكتاب الأمير شكيب أرسلان		148

7- مفدي زكريا بن سليمان	- لك الحياة - ألا في سبيل المجد!! - خواطر كئيب!!!	**03**	152 153 158
8- أحمد كاتب ابن الغزالي	-الصحافة -نحن والغرب -القنفذ والناس	**03**	162 165 168
9- رمضان محمود بن سليمان	- الرجل بنفسه - دمعة حارة في سبيل الأمة والشرق! - اركضوا نحو الإمام	**03**	172 173 175
10- إبراهيم بن نوح امتياز	- شاعرنا والحقيقة - قلمي وغلامي - حياة الأدباء	**03**	179 180 182
11- محمد الهادي السنوسي الزاهري	- ذكرى زهرة الأيام - من المنتقد - الفتاة الجزائرية - تلك المدينة كم دان الزمان لها - هي الجنة الفيحاء	**05**	188 191 195 197 198

إن المتصفح لأشعار شعراء الجزائر وخاصة أولئك الذين ورد ذكرهم في الجزء الأول من كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" يلحظ ظاهرة بارزة وهي شيوع ظاهرة الموضوعاتية في أشعارهم، وسنقوم في دراستنا هذه بذكر بعض المواضيع التي عالجوها من شعر وطني وشعر بطولي، شعر قومي ، وغزل سياسي وشعر ديني، وذلك بشرح كل موضوع من هذه المواضيع على حدى.

II/ المواضيع التي تناولها شعراء الكتاب:

1- الشعر الوطني:

لقد مثل الوطن في أشعار العرب عامة والجزائريين منهم خاصة موضوعا هاما، بحيث أنهم راحوا يتغنون بالوطن والوطنية. « فالشعر الوطني أنشودة يتغنى فيها الشاعر بالوطن والأمة كلها »[1]. والوطن عند بعض الشعراء القدامى كان يعني « مربع القبيلة ومرتع الصبا، ثم صار عند المتأخرين منهم هو البلد الذي فيه قوم الشاعر وتحده حدود سياسية ويرفرف عليه علم ذلك البلد ورمزه ». [2]

إذن فحب الوطن صفة موجودة لدى كل الشعوب منذ القدم، و «الجزائريون ليسوا بدعا في الشعوب من حيث حبها لأوطانها و دفاعها عنها» [3]. وقد مثل الجزائريون نموذجا رائعا في التصدي لكيان المستعمر الذي حاول طمس شخصيتهم، ودمجهم في المجتمع آخر غريب عنهم، فما كان منهم إلا أن ضحوا بأغلى ما لديهم في سبيل تحرير الوطن من ظلم المستعمر واضطهاده.

وقد يؤدي بنا الحديث عن الوطن إلى الحديث عما سجله شعراء الجزائر من مظاهر اجتماعية وسياسية له، بحيث أنهم صوروا من خلال قصائدهم مظاهر الجهل، والفقر والحرمان التي عانى منها جل الشعب الجزائري بما فيهم الطبقة المثقفة. فنجد "اللقاني بن السائح" أحدهم يوجه رسالة إلى الشعب الجزائري، يصف من خلالها الحالة الاجتماعية والثقافية

---

(1) حسين علي محمد: الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،ط1 ،2001م، ص20.
(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الجزائر، 1981م، ص308.
(3) شلتاغ عبود شراد: حركة الشعر الحر في الجزائر، د ط، دت، ص103.

للجزائريين أثناء فترة الاحتلال، ويدعوهم في نفس الوقت إلى الاجتهاد والكد والعمل على النهوض من جديد لبناء مجد عظيم فنجده يقول في قصيدته "إلى الشعب الجزائري" :

بني الجزائر هذا الموت يكفينا لقد أغلت بحبل الجهل أيدينا.

بني الجزائر هذا الموت افقدنا كل اللذائذ حينا يقتفي حينا.

بني الجزائر هذا اللهو أوقعنا في سوء مهلكة عمت نوادينا.

بني الجزائر ما لكم غربا عن نيل مكرمة ترضي المحبينا.[1]

وهناك قصائد أخرى ورد ذكرها في الجزء الأول من كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" عبر من خلالها الشعراء عن حالة الفقر والجهل التي ميزت تلك الفترة التي عايشوها، ومن هؤلاء الشعراء نذكر كل من: محمد السعيد الزاهري، رمضان حمود، الشيخ الطيب العقبي....الخ.

إذن فإن كان حب الوطن من الإيمان، فحبه هو كذلك من الفطر السليمة التي فطر الناس عليها. ولعل إحساس الشاعر الجزائري بقضايا بلده هو ما جعله يتعلق أكثر بهذا الوطن، فأخذ بذلك يؤلف أروع القصائد يؤكد فيها تعلقه بهذا الوطن وحبه له « وقد يتغنى الشاعر بحب الوطن والتقول فيه، ومن خلال ذلك يتحدث عن نفسه وعما يعانيه ». [2]

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، مرجع سابق، ص36.

[2] محمد الهادي بوطارن: رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد، بالمطبعة الملكية، ط1، 2007م، ص124.

2- الشعر البطولي:

إن الشعر أحق فنون التعبير لتمجيد البطولة، وتخليد الأبطال، فقد اهتم شعراء الجزائر في فترة العشرينات من القرن 19م بتصوير الشخصيات البطولية، وتخليد أعمالها، وتمجيدها. وهي ظاهرة موجودة لدى كل من: محمد العيد آل خليفة، محمد اللقاني بن السائح، محمد السعيد الزاهري....الخ. إذ لا تكاد قصيدة واحدة من قصائدهم المذكورة خاصة في الجزء الأول من كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" تخلو من هذه الظاهرة.

ومما جاء في الكتاب المذكور سابقا بعض مراثي محمد العيد كقصيدته "رثاء رشيد" * التي قام فيها بذكر بطولات "رشيد"، ذلك المواطن الجزائري البطل الذي توفي شهيد العدل والمساواة بحيث نجد الشاعر يقول:

نعم لك في العلا عمل مجيد ولكن ما جزاؤك يا رشيد؟

قضيت على الصبا أسفا وحزنا كذلك ينتج الضغط الشديد.

حياتك كلها مأساة وحزن يشيب لهول منظرها الوليد.

وموتك يا شهيد العدل ذكرى مؤثرة يلين لها الحديد. [1]

* بطل قصة "فرانسوا والرشيد" التي نشرها محمد السعيد الزاهري سنة1926م في جريدته " الجزائر".

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر: ج1، مرجع سابق، ص23.

ومن أبطال الجزائر أيضا الذين أرخ لهم الكتاب والشعراء نجد البطل والزعيم السياسي الوطني (الأمير خالد الجزائري)، الذي رثاه –محمد العيد– وقد « كان رثاء –محمد العيد– للزعيم السياسي الوطني الأمير خالد موقفا من الوطنية التي يمثلها هذا الزعيم، ومن الحقوق المغصوبة التي كان يطالب بها ومن العدو وذيوله الذين كان يندد بهم، ومن النضال الذي كان يرفع لواءه ».[1]

وهناك قصيدة أخرى لمحمد السعيد الزاهري تحت عنوان "إلى الزعيم الجزائري"، أشار فيها الزاهري إلى بطولة الأمير خالد والأعمال التي قدمها في سبيل تحرير الجزائر. يقول الشاعر مخاطبا:

سلام على شعب الجزائر بعدما نآى عنه من كان الغديق المرجبا

سلام عليه بعدما بان "خالد" سلام عليه بعدما انحلت الحبا.

تنآى ولكن ليس يبرح خالدا جميل ثناه بيننا ضاربا خبا.

إلى أن يقول:

فأنت أخو العلياء والبطل الذي إذا جد جد زاد منه تقربا[2]

إضافة إلى" محمد العيد آل خليفة" و"السعيد الزاهري" فقد كان لحضور الشخصيات البطولية في شعر" محمد اللقاني بن السائح "دور بارز هو الآخر ويتجسد هذا في قصيدته

---

(1) إبراهيم رماني: أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، باتنة، ط1، 1985م، ص49.

(2) محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ص 79.

"النصر العزيز". « فاللقاني تهزه وقعة "أزمير" والنصر الساحق الذي كتب فيها لأتاتورك فينتفض قصيدة إعجاب وتقدير وبيعة ومعاهدة وخيلاء وكبرياء ويزاحم اسم (مصطفى) صدور الأبيات » [1] إذ يقول:

يا مصطفى لك في الجنان حلاوة وبكم فؤادي ظل صبا مغرما.

يا مصطفى هذي تحية شاعر في لبه أضحى الوداد مخيما.

يا مصطفى لك في المشارق مثل ما لك في المغارب عزة وتقدما.

جاهدت في الرحمان حق جهاده وبرزت فردا للحروب ميمما. [2]

وقد وجد الشعر الجزائري كذلك أن البطولة قد تكون ممثلة في أولئك المصلحين العاملين لخير الشعب والوطن. أمثال "عبد الحميد بن باديس، محمد عبده، جمال الدين الأفغاني "بحيث قام الشعراء بذكر أعمال وبطولات هؤلاء المفكرين الإصلاحيين لما لهم من دور في تنوير العقيدة الإسلامية، والاعتزاز بالعروبة، والحضارة العربية الإسلامية والتراث الفكري العربي وغيرها من أساسيات الثقافة العربية الإسلامية والقومية. ولقد قام محمد العيد آل خليفة في قصيدته "ما بال آشيل يهذي" بالإشادة إلى دور الإمام "عبد الحميد بن باديس" وكذا "محمد عبده" في تنوير العقيدة الإسلامية إذ يقول:

---

[1] صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، طبع المؤسسة الوطنية للفنون، وحدة الرغاية، 1984م، ص65-66.

[2] مرجع سابق، ص35.

لا يعدم الحق أنصارا تحيط به سورا ولو كثرت فينا الأضاليل

هذا (ابن باديس) يحمي الحق متئدا كذلك يتيد الشم الأماثيل

إني أرى (عبده) المرحوم مندفعا ينحني على زعم (هانتوا) و(برتيلو)

عبد الحميد رعاك الله من بطل ماضي الشكيمة لايلويك تهويل. [1]

إن ما قلناه عن الشعر البطولي لا يعدو أن يكون إشارة إلى دوره في تسجيل البطولات وتخليد الأبطال الذين لا يحملون من علامات الشخصية البطولية تاجا أو صولجانا ولكنهم يحملون خنجرا أو بندقية و إيمانا راسخا بالنصر والحرية.

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر،ج1، ص23-24.

3- الشعر القومي:

إن الصراع الذي بين الشعب الجزائري والمستعمر طوال قرن كان محور قضيتين الهوية والانتماء. إذ تركزت جهود فرنسا محاولة فصل الجزائر عن الأمة العربية حتى لا تنتمي لهذه الأمة بل وإدماجها في أمة أخرى، كذلك فإن المقاومة الجزائرية ركزت هي الأخرى اهتمامها على إبراز الشخصية الوطنية« فالشعب الجزائري إذن – منذ القدم ومنذ غزا الاستعمار أرضه– لم يفقده عروبته الأصيلة ولم يفقد أصالته كشعب عربي لغته الضاد ودينه الإسلام». [1]

نستطيع القول –إذن– أن سبيل الجزائر وطريقها كي تستعيد ذاتيتها وكيانها المستقل وهويتها التي أراد الاستعمار محوها هو إحساسها بالقومية وباللغة العربية، وقد أحس الشعراء والكتاب الجزائريون بهذه الضرورة إلى التمسك باللغة العربية وتأكيد الشخصية الوطنية، وهو ما دفع بهم حسب ما يؤكد الدكتور "عبد الله الركيبي" إلى « التشبث باللغة العربية على اعتبار أنها المقوم الذي يحفظ للجزائر شخصيتها الوطنية والقومية معا، وعلى التمسك بالعروبة، وبالدين الإسلامي بالخصوص باعتباره القيمة التي تحافظ على عقيدة الشعب ». [2] والدارس لأشعار شعراء فترة الإصلاح، يلاحظ أن الشاعر كلما تحدث عن الوطن، ربط ذلك بالحديث عن العروبة والإسلام « فالحديث عن الوطن يقترن بالحديث عن العروبة والإسلام ». [3]

---

[1] عبد الله الركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المرجع السابق، ص21.
[2] المرجع نفسه، ص14.
[3] المرجع نفسه، ص14.

فهذا "الشيخ الطيب العقبي" أحد شعراء الجزائر يؤكد في قصيدته "رد التحية فرض" على قضية القومية العربية إذ يوجه –في قصيدته هذه– رسالة إلى الشباب الجزائري يحثهم فيها على الاستيقاظ من سباتهم وبأن لا يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الوضعية المزرية التي آلت إليها البلاد من جراء ما خلفه الاستعمار من دمار شمل جميع النواحي مؤكدا لهم بأن العرب ليس من صفاتهم الإستسلام أمام أول عثرة أو مشكلة في الحياة تواجههم بحيث يقول:

يا معشر القوم هبوا من سباتكم طال الزمان كم غنى مغنينا.

ولا سميع لنا منكم وكلكم أصبحتم لقديم المجد ناسينا.

ما هكذا شيم العرب الكرام ولا هم قبلنا ولدوا الحمق المجانينا.

هبوا بني وطني من نوم غفلتكم جل المصاب وخطب الدهر يرمينا [1]

وقد عبر رمضان حمود عن نفس الفكرة (القومية) إذ يقول في قصيدته "اركضوا نحو الإمام" :

إن كل الناس نالـــــت ما به الله عليـــم.

وشعوب الشرق ماتــت واستحالت كالرميم.

هل بهذا سوف يبنـــى مجد أبناء العــرب.

رحمــة الله علينـــا قد قسمنا كالسلـــب. [2]

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري : شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط1، بالمطبعة التونسية، سنة 1926م، ص 134.

[2] المرجع نفسه، ص 176.

وهناك قصيدة للهادي السنوسي الزاهري تحت عنوان "الفتاة الجزائرية" يؤكد فيها الزاهري على نسب الفتاة الجزائرية إذ يقول:

أخذت تمد إلى النهوض الجيدا لما رأت علم الاخا عقودا.

ومشت تجدد للبنـــات مـــــودة نحو البنين الطالبين صعودا.

بنت تمت إلى العروبة نسبـــــة حسناء تخجل في الجمال الغيدا. [1]

إذن فان الشعراء الجزائريين عنوا عناية خاصة بقضية العروبة وقصائدهم خير دليل على ذلك وقد يرجع ذلك إلى فهمهم وشعورهم البسيط وهو ما أكده الدكتور "عبد الله الركيبي" من خلال كتابه "الأوراس في الشعر العربي" إذ يقول: « هنالك شعراء كثيرون من الجيل الأول أو الرواد عبروا عن إيمانهم بالعروبة والوحدة، ربما نجد نظرتهم تعبر عن فهمهم وشعورهم البسيط التلقائي ولكن إيمانهم كان قويا راسخا أيام أن كان المستعمرون لا يسلمون حتى بالفكرة الوطنية فضلا عن الفكرة القومية ». [2]

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: مرجع سابق، ص195.

[2] عبد الله الركيبي: الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دت، ص 76.

4- الغزل السياسي:

الغزل غرض من أغراض الشعر العربي القديم، كان يرد في مطالع القصائد الجاهلية على شكل مقدمات طللية (بكاء على الأطلال)، ثم تطور بعد ذلك ولم تفرد له القصائد إلا في عصور لاحقة.

والذي يطالع الشعر الجزائري الحديث يجد أن هذا الغرض لا يكاد يشكل اتجاها محددا. يقول محمد الطمار: « عالج الشاعر المدح والرثاء ولكن لم يمدح ولم يرث إلا من قدم خدمات جليلة للبلاد أو للأمة العربية أو للإنسانية، وتغزل الشاعر لكنه ربط حبه وعواطفه بحب وعواطف الشعب ». [1]

فالنتيجة أننا وجدنا أدبا يختلف ظاهره عن المضمون الذي يتناوله أي أننا وجدنا أغراضا ذاتية كالغزل لكن حين نتأمل مضمونها نجده موضوعيا محضا وكمثال على ذلك نتناول ظاهرة الغزل السياسي التي برزت في الشعر الجزائري، والغزل الحقيقي هو الذي يتحدث عن المرأة أو إليها، يصورها أو يبثها أشجانه، وكثرت أسماء النساء في قصائد الشعراء، والذي يطالع الشعر الجزائري يجد أن هذا الغرض يختلف تماما عن حقيقته، كما نجد أن "محمد الهادي السنوسي الزاهري" قد استثنى هذا الغرض عند كتابته لكتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر" ومن أسباب ندرة الغزل في الشعر الجزائري العامل الاجتماعي. يقول أبو القاسم سعد الله «أول ما يلفت النظر هو العامل الاجتماعي، والذي يفيدنا من هذا ليس الحكم

[1] محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري ،مرجع سابق، ص356.

عليه بالرجعية أو التقدم، ولكن تدخله في توجيه الشعر و ظروف الشعراء، والمجتمع الجزائري محافظ متدين عميق الإيمان بمقوماته إلى حد العنف والقسوة أحيانا وهو كذلك مجتمع مرتبط إلى تقاليده وعاداته ارتباطا عقائديا يكاد يكون أعمى ». [1]

فالمجتمع الجزائري مسلم محافظ مرتبط بتقاليده إلى حد التزمت ، كما يقول "محمد العيد" صراحة: « إن المجتمع في تلك الفترة فرض علينا أن نطرق مواضيع معينة ولذا جاءت أشعارنا توجيهيه، تربوية، اجتماعية.... ».[2]

وقد عبر أكثر من شاعر إصلاحي عن هذا الاتجاه فيقول ابن باديس:

ودع غزلا للغانيات فطالما سلا عن وصال الغانيات نبيل.

فديدني الآداب والعلم مقصدي ولا زلت في نيل المعالي أجول. [3]

أما العامل الثاني فيتمثل في ظروف البلاد آنذاك التي كانت تتطلب نوعا من الشعر الجاد يعبر عن آمال الشعب وآلامه يقول الدكتور" أبو القاسم سعد الله": « فالتركيب السيكولوجي للفرد الجزائري يختلف عن غيره، فهو إلى جانب الكبت الذي يعانيه من جراء معاملة الأمة والمجتمع والاحتلال، يعاني أزمات أخرى نتيجة قسوة الطبيعة من ناحية وقسوة الحياة من ناحية أخرى ومن هنا يمر الفرد الجزائري بتمزقات حادة وفراغات مخيفة إذ أنه لم يجد الحرية في الأسرة المحافظة، ولا في سياسة الاحتلال الرهيبة، كما أنه لم يجد الرحمة في

---

[1] أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، الدار التونسية للنشر،1985م، ص73.

[2] الشعب الأسبوعي، ع (1976/10/28) نقلا عن محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار العرب الإسلامي، ط1، 1985م، ص77.

[3] الفاروق ع(1920/11/12م) نقلا عن: محمد ناصر،نفس المرجع، ص77.

ثلوج الجبال أو لفحات الصحاري ولست أرى قول الشاعر "اللقاني" في الدفاع عن سلوكه والاعتذار عن الغزل إلا تعبيرا صارخا عن هذه القسوة...». [1] فهو يقول:

ألا فدع التغزل في غــوان فتلك طريقة المستهترينا.

فمن صوت البلاد لنا نداء يكاد المرء يسمعه أنينا.[2]

وانطلاقا من هذين العاملين فإن الشعراء الجزائريين استعاضوا عن الغزل المباشر الذاتي بنوع آخر من الغزل « ظنوه يحميهم من سلطة المجتمع وإرهاب الاحتلال، وهذه الظاهرة توجد في إنتاج الشعراء الذين اتخذوا من حب الوطن أو وصف الطبيعة، أو من حرج الموقف السياسي طريقا إلى التنفيس عن أنفسهم » [3]. وهذه الظاهرة هي الغزل السياسي الذي كان بارزا في الشعر الجزائري.

---

[1] أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص74.
[2] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، مرجع سابق، ص39.
[3] أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، مرجع سابق، ص75.

5- الشعر الديني:

لقد عمل الاستعمار الفرنسي منذ وطأ أرض الجزائر على القضاء على الدين الإسلامي وتشويه العقيدة الإسلامية، واستعمل عدة وسائل بالتعاون مع أدعياء الدين وأعداءه من المستشرقين « لكن دين الله أسمى من أن تناله يد، لغة القرآن أشمخ من أن تعنو لأحد » [1]. فقد شاءت الأقدار بأن يولد لهذا الدين رجال صناديد دافعوا عنه بالنفس والنفيس وبكلمات مختصرة تحمل في طياتها ثورة ضد من حاولوا طمس معالمه وشوهوه، ذلك أن الدين الإسلامي شغل مساحة كبيرة في قصائد الشعراء الجزائريين خاصة في فترة الإصلاح لأن معظم الشعراء آنذاك كانوا دعاة إصلاح ديني واجتماعي فهذا الشاعر "محمد اللقاني بن السائح" أحد شعراء الجزائر يقف في قصيدته "إلى دين الحق إلى العلم الصحيح، إلى الصحافة الحرة" مخاطبا الشعب الجزائري يدعوهم إلى الدفاع عن الشريعة وحمايتها من الأيادي التي تود اقتلاعها من جذورها إذ يقول:

بني وطني هل من عقول كبيرة؟ تقوم أمام الضيم وقفة أطواد.

بني وطني هل من شيوخ أجلة؟ غدوا في سماء العز كعبة قصاد.

يذبون عن حوض الشريعة كلما أناط بها الأعداء شبهة حساد !!.

إلى أن يقول:

تعالوا إلى دين القويم وهديه فإني أرى الإصلاح في سنة الهاد. [2]

---

[1] نوار جدواني: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، نشر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة، 2008م، ص126.
[2] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مرجع سابق، ص46.

إضافة إلى "اللقاني بن السائح" نجد الشاعر "محمد العيد آل خليفة" الذي كانت كلماته سيفا يقطع ألسنة كل من اتهموا هذا الدين بالبطلان ويتضح موقفه هذا خاصة في قصيدته "ما بال آشيل يهذي" فالشاعر هنا يقف متصديا لأحد المعمرين الفرنسيين الذين حاولوا القضاء على الدين الإسلامي واصفا ما قاله عن هذا الدين بما يشبه الهذيان إذ نجده يقول:

هيهات لا يعتري القرآن تبديل وإن تبدلت توراة وإنجيل.

قل للذين رموا هذا الكتاب بما لم يتفق معه شرح وتأويل.

هل تشبهون ذوي الألباب في خلق إلا كما تشبه الناس الأماثيل.

إلى أن يقول:

ما بال آشيل يهذي في مقالتـــــه كحالم راعه في النوم تخييـــــل.

ما بال آشيل يزري المسلمين وهم غر العرائك إنجاب بهاليـــــــل.

أفكارهم بهدى القرآن ثاقبـــــــة فلا يخامرها في الرأي تضليـل. [1]

(1) محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مرجع سابق، ص20-22.

الفصل الثالث:

تحليل قصيدة محمد العيد آل خليفة

"في ذمة التاريخ " أنموذجا

I- تحليل القصيدة:

1- شرح بعض المفردات الصعبة.

2- البحر المستعمل في القصيدة.

3- مناسبة القصيدة.

II- الخصائص الفنية للقصيدة.

1- الصورة الشعرية.

2- اللغة الشعرية.

3- التشكيل الموسيقي.

I / تحليـــل القصيـــــدة:

قصيدة "في ذمة التاريخ"

علام يظل دهرك مستريبـــا تسائله ويأبى أن يجيبـــا؟
ويغضي عن شكاتك مستخفـا كأنك في شكاتك لن تصيبا[1]
فيالله من دهــر تغافـــــى عن البلوى ولم يبصر قريبا[2]
ويالله من دهــر تجافــــى عن الذكرى و أكبر أن ينيبا[3]
ألم يوقن بأن الخطب خطــب تكاد له البصائر أن تغيبا....؟[4]
ألم يوقن بأن الخطب انحنــى عن العمال شبابا وشيبــا...؟
قسى البلد الجريح وذاق ذرعا بهم فتيمموا البلد الرحيبـــا[5]
وأدرك ربعهم جدب مشــت لهم فاستقبلوا الربع الخصيبا
وقالوا إن في باريس عيشـا يروق غضاضة ويلذ طيبـا[6]
وقالوا إنها تسلي المعنـــى وقالوا إنها تأوي الغريبــا
وإن لها من الحسنى لحظـا وإن لنا من الحسنى نصيبـا
ألسنا المخلصين لها حضورا ألسنا المخلصين لها مغيبا...؟
محضناها المحبة واغتدينـا نطارحها التغــزل والنسيبـا [7]
ولبينا مهيب الحرب لمـــا أهاب بنـــا فارضينا المهيبـا
فسدت في وجوههم النواحــي مسالكها ولم ترحب حبيبـا
وقامت ضجة في الغرب كبرى تصب عليهم النقد المريبـــا

فكم من قائل أخشى وحوشا تدب بأرض (باريس) دبيبا

وكم من قائل أخشى زنوجا تبيح القتل والذام المعيبـــــــــــا[8]

فقل للقائمين على فرنسا أنيبوا وأرتـــاوا رايا لبيــبــــــــا

وقل للقائمين على فرنسا تعالــــوا فاشهدوا الخطب العجيبــا

جسوم فروش مجدلات تعانـــي تحته (الغاز) الرهيـــــــبا

وأجساد ممزقة الحشايا تكاد لها النواصي أن تشيبـــــــــا[9]

حديد (فروش) يفريها شظايا وعــزف (فروش) يبكيها نحيبــا[10]

مشائبهم أناخ النحس فيهم فمـــــزق سعدهم جيبــا فجيبـــــا

وصب عليهم المقدور سوطا من الأرياح يستدري عسيــبــــا

فريح القر تلحفهم سمومـــا وريح الحر تصهرهم لهيبـــــــــا

مصاب يدهش الجلد المربى عليه ويرعش الحبر النجيبــــــا

وتغدو حوله الأفكار فكـــــرا سليبا يعتلي فكرا سليبـــــــــا

فحسبك أيها الخطب المفاجي لقد أشهدتها اليوم العصيـــــــا[11]

فأبكيت الهلال به وطــــــه وأبكيت ابن مريم والصليبـــــــا

وسر في ذمة التاريخ خطبا رهيبا في مسامعنا مهيبـــــــــا

وحسبك أن أثرت شجون نضو كئيب يألف النضو الكئيــــــبا[12]

إذا ما صوت الناعي بأرض تراه بسفك عبرته مجيبــــــــــا

يناغي البائسين كما يناغي لعمري العندليب العندليبـــــــا[13]

"في ذمة التاريخ" أنموذجا

ويحي في رثائهم الليالي وينهض في مصارعهم خطيبـــا

بقلب يلفظ الأنفاس حرى وعين تذرف الدمع الصبيبـــــــا

فياظئر (الجزائر) يا فرنسا أيجدر (بالجزائر) أن تخيـــبـــا [14]

تناويك العواصم وهي تصبو إليك فهل رأيت لها ضريبـــا؟

ويا ولد الجزائر صن حماها وكن برا بساحتها أديبـــــا

ولا تخش الوقاع بها فإني رأيت الله مطلعا رقيبـــــــا

1- شرح بعض المفردات:

(1): يغضي: أغضى عينه أي طبق جفينها حتى لا يبصر شيئا.

وعلى الأمر: سكت وصبر

(2): تغافى : من الغفو : نام قليلا ونعس.

(3) تجافى: من (جافى مجافاة) الشخص : مال عنه معرضا، الشيء: أبعده

(4): الخطب(ج، خطوب): الشأن، الأمر العظيم المكروه.

(5): الذرع مصدره: بسط اليد، يقال أبترت فلانا ذرعه بفتح العين أي كلفته أكثر من طاقته وضقت بالأمر ذرعا أي لم أقدر عليه وهو واسع الذرع أي مقتدر.

(6): غض النبات غضاضة وغضوضة بالرفع : نضر وطرؤ فهو غض الجمع غضاض.

(7): نسب نسيبا ومنسبة الشاعر بالمرأة: شب بها في شعره.

(8): الذام: العيب.

(9): الناصية: مقدم الرأس أو شعر مقدم الرأس إذا طال. ج نواص وناصيات. ويقال أذل فلان ناصية فلان أي أهانه وحط من قدره وشرفه.

(10): الشظايا جمع الشظية والشظية: فلقة العود والعظم ونحوهما.

(11): يوم عصيب: شديد الحر.

(12): النضو المعزول من الحيوان.

(13): العندليب: نوع من الطيور يتميز بصوت شجي.

(14): الظئر: العاطفة على ولد أو مرضعة له الجمع اظؤر وظآر وظؤور.

2- البحر المستعمل في القصيدة:

عَلام يظل دهرك مستريبا تسائله ويأبى أن يجيبا؟

//0/// / /0///0 //0/ 0// //0/// //0/0/0 //0/ 0//

مفاعلت مفاعلتن فعولن مفاعلت مفاعلتن فعولن

من خلال هذا التقطيع نجد أن البحر المستعمل هو: بحر الوافر.

تفعيلاته: مفاعلتن مفاعلتن فعولن.

القافيـــــــة: علام يظل دهرك مستريبا تسائله ويأبى أن يجيبا.

0/0/

قافية القصيدة هي: جيبا

0/0/

نوع القافية: قافية مطلقة (لأن حرف الروي: الباء جاء متحركا).

الـــــروي: الباء. إذن هذه القصيدة بائية لأن حرف رويها هو الباء.

3- مناسبة القصيدة:

" في ذمة التاريخ" تحت هذا العنوان جاءتنا هذه القصيدة العصماء للشاب النابغ، شاعر الجزائر، وإذا كان الشعور هو الإدراك القوي الخفي للتفاصيل المؤثرات ودقائقها والشعر هو الكلام الفصيح البليغ الناشئ عن ذلك الشعور، والشاعر هو صاحب ذلك الشعور المعرب عنه بذلك الكلام ليحرك شعور السامعين، فهذا هو الشعور وهذا هو الشعر وهذا هو الشاعر.

نظم شاعرنا هذه القصيدة التي كان لها دوي بالشمال الأفريقي وحتى بفرنسا، كان ذلك على إثر الفاجعة الكبرى فاجعة الباخرة (سيدي فروج) بحيث اقترح "مسيو شوطان"*على الأهالي الذهاب إلى فرنسا لأجل العمل حين ضاقت السبل على الإفريقيين البائسين في بلادهم، وكان ضرورة لأولئك الجزائريين التعساء فكان الجميع يتحينون الفرص للذهاب إلى فرنسا قصد الإرتزاق لما أصاب بلادهم.

في سنة 1926م ركب أربعون رجلا من الجزائر بمساعدة مستأجرين من الخدمة في الباخرة (سيدي فروج) خفية فأنزلوهم وأدخلوهم في بيوت من الفحم إزاء نار حامية كانت تصهر جلودهم، والفحم يتساقط على رؤوسهم وجنوبهم والغاز المخنق أوقف النفس في الحناجر مع عدم وجود أي منفذ للهواء، داموا على تلك الحالة مدة يومين وهم أربعون رجلا كل منهم جزائري، فما أرست الباخرة حتى كان أحد عشر ميتون والآخرون قد ماتوا.

هاته هي المأساة التي لا تنسى وان نسيت فواجع القرن العشرين وان وجدوها مع هذه الخطوب ليشبه العدم.

* مسيو شوطان: وزير المستعمرات الفرنسية سابقا.

II/ الخصائص الفنية للقصيدة:

1- الصورة الشعرية:

الشعر فن غايته الأسمى هي التصوير، ذلك أنه لكل فنان أداته «وأداة الشاعر كلماته» [1]. فنجاحه يرتبط ارتباطا وثيقا بمدى مقدرته على تصوير امتزاجه بالوجود من حوله وامتزاج هذا الوجود فيه.

إذن فالتصوير يحتاج إلى قدرة الشاعر على الإتقان بالإضافة إلى تدخل الموهبة والاستعداد النفسي والدارس للشعر الجزائري في الاتجاه التقليدي المحافظ وفي فترة العشرينات بالتحديد يلاحظ ضعف عنصر التصوير فيه، لكن ذلك لا يعني أن ننفي نفيا كليا ورود هذا العنصر في قصائد بعض الشعراء في تلك الفترة بحيث يرد ذكره مع اتصافه ببعض الخصائص نذكر منها الوضوح، ذلك أن الصورة الشعرية عند هؤلاء تفتقد إلى المفاجأة والابتكار ذلك أن الشاعر لا يعتمد على خياله مستخدما بذلك الإشارات الفنية والإشارات الذكية الإيحائية وإنما يعتمد على الصور المحفوظة والقوالب الجاهزة من خلال قراءاته الطويلة في التراث، والتي ترسخت في ذاكرته ذلك وبالعودة إلى أغلب الصور المستخدمة من طرف الشعراء الجزائريين تواجهنا ورود هذه الظاهرة فنجد "محمد العيد آل خليفة" مجسدا لها في قصيدته التي نحن بصدد دراستها. إذ يصور لنا الشاعر حالة الشباب الجزائريين الذين هاجروا على متن باخرة (سيدي فروج) إلى فرنسا قصد العمل وطلب

---

[1] إيمان "محمد أمين" الكيلاني: بدر شاكر السياب، دار وائل للنشر، 2001م، ص15.

الرزق بسبب الحالة التي آلت إليها البلاد، ظنا منهم أن فرنسا ستكفلهم، لكن نظرة الغربي للعربي وبصورة أخص للجزائري تبقى هي نفسها نظرة كلها استصغار واحتقار بدرجة وصفهم بالوحوش تارة والزنوج تارة أخرى إذ يصور لنا " محمد العيد" ذلك بقوله:

فكم من قائل أخشى وحوشا تدب بأرض باريس دبيبا.

وكم من قائل أخشى زنوجا تبيح القتل والذام المعيبا [1].

فالشاعر "محمد العيد" ضمن هذه الأبيات صورة شعرية * تمثلت في التشبيه «لأن الصورة الشعرية كانت تخضع للعقل لا للخيال، وتتخذ وسيلة لتوضيح الفكرة او الشعور وغايتها عندهم هي الوصول إلى الحقيقة»[2]. وهذا بالضبط ما أراد الشاعر "محمد العيد " الوصول إليه من خلال استخدامه للتشبيه كصورة شعرية.

ونجده في بيت آخر يقول:

وسر في ذمة التاريخ خطبا رهيبا في مسامعنا مهيبا

وحسبك أن أثرت شجون نضو كئيب يألف النضو الكئيبا [3].

وهي صورة أخرى للتشبيه أراد من خلالها الشاعر تشبيه الجزائري بالنضو أو الحيوان الهزيل.

ولعل انتماء "محمد العيد" للثقافة السلفية التي كان الشعراء المحافظون في فترة العشرينات يصبون أشعارهم في إطارها، هذا الإطار الذي لا يخرج عن التراث في

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مرجع سابق، ص15.
* الصورة الشعرية: هي الأداة التي يتخذ الشعر بواسطتها سبيله إلى التأثير في المتلقي إيحاءا ورمزا.
[2] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، مرجع سابق، ص439.
[3] محمد الهادي السنوسي الزاهري: مرجع سابق، ص16.

مصادره المعروفة قرآنا كريما، وأحاديث شريفة وقصصا وأمثالا وتاريخا إسلاميا،و هو ما جعل أثر القرآن واضحا وجليا في أشعاره من خلال الصور الشعرية الرمزية المستخدمة لديه فجاءت في صوره الشعرية معظم قصص الأنبياء مثل: (سيدنا إبراهيم، نوح، عاد وثمود، يوسف) كما ورد كذلك ذكر بعض الرموز الدينية كعيسى ابن مريم والصليبا وذلك لتجسيد حالته الشعورية تجاه تلك الحادثة المؤلمة التي أصابت فئة من الشباب الجزائري المهاجر إذ يقول:

فحسبك أيها الخطب المفاجي لقد أشهدتنا اليوم العصيبا

فأبكيت الهلال به وطه وأبكيت ابن مريم والصليبا[1].

إذن فالصورة الشعرية لدى "محمد العيد" تبدو واضحة وإن كانت موظفة بصورة ضئيلة في قصيدته "في ذمة التاريخ" لما لهذه الصورة من تأثير في القارئ و السامع لما تحمله من زاد معنوي ونفسي وقد تراوحت الصورة الشعرية في هذه القصيدة ما بين الصورة الشعرية البلاغية المتمثلة في التشبيه والصورة الشعرية الرمزية المتمثلة في الرموز الدينية والصورة الشعرية الذهنية المتمثلة في الوصف وهو ما أشرنا إليه سابقا.

2- اللغة الشعرية:

إن إعجاب الشعراء الجزائريين الإصلاحيين بالنماذج العربية القديمة هو ما جعلهم ينتهجون نهج القصيدة التقليدية القديمة، ويظهر تعلقهم بالعمود الشعري بصفة واضحة في الصياغة الشعرية، سواءا في طبيعة العبارة أو في طبيعة اللفظة و حتى الصورة، النمو

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، مرجع سابق، ص16.

الداخلي للقصيدة بحيث أنهم اقتصروا على التراكيب اللغوية الجاهزة «وهو ما حدد إمكاناتهم الشخصية في استثمار اللغة استثمارا جماليا فنيا»[1].

ويتضح لنا من لغة النص الذي بين أيدينا (في ذمة التاريخ) كيف أن اللغة في النص الشعري جاءت تقريرية، مباشرة فهي عبارة عن جملة من الحقائق الواقعية المعيشة آنذاك ويتضح لنا ذلك من خلال الأبيات التالية:

جسوم فروج مجدلات تعاني تحته (الغاز) الرهيبا.

وأجساد ممزقة الحشايا تكاد لها النواصي أن تشيبا.

حديد (فروش) يفريها شظايا وعزف فروش يبكيها نحيبا [2].

ففي هذه الأبيات تبدو لنا لغة الشاعر بسيطة وسهلة لا تحتاج إلى جهد ذهني يبذله القارئ للوصول إلى ما يريد من المعاني بحيث استطاع "محمد العيد" أن يوصل لنا حقيقة المأساة التي عاشتها فئة الشباب الجزائري على متن باخرة سيدي فروج، ولعل اعتماد محمد العيد على الألفاظ السهلة والبسيطة هو ما جعل هذه القصيدة في متناول الجميع ذلك أن معظم شعره « قريب من النفس لبعده عن التكلف من ناحيتي الأسلوب والمعنى ويبدو أن الشاعر يكره التعقيد والغموض سواءا في نظام حياته أم صوغ تجاربه الشعرية»[3].

والملاحظ في لغة هذه القصيدة هو استخدام الشاعر "محمد العيد" للمحسنات اللفظية فاستخدم في قافيته لزوم ما لا يلزم الذي قيد اللغة تقييدا ذلك أن الشاعر يقوم بالتزام حرف

---

(1) محمد ناصر:الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، مرجع سابق،ص 277.
(2) محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، مرجع سابق، ص15.
(3) أبو القاسم سعد الله: محمد العيد آل خليفة، ط1، دار المعارف بمصر، دت، ص213.

بذاته قبل الروي يستمر طول القصيدة أو المقطوعة ويبدو ذلك واضحا من خلال المقاطع التالية:

علام يظل دهرك مستريبـــــا تسائله ويأبى أن يجيبـــــــا؟

ويقضى عن شكاتك مستخفا كأنك في شكاتك لن تصيبـــا.

فيا لله من دهر تغافـــــــى عن البلوى ولم يبصر قريبـــا.

والله من دهر تجافـــــــــى عن الذكرى وأكبر أن ينيبا[1].

فالشاعر في هذه القصيدة التزم بحرف الياء قبل الروي استمر طول القصيدة.

إن تميز اللغة الشعرية لدى محمد العيد آل خليفة بالتقريرية والمباشرة « يعود إلى مفهوم الشعراء لوظيفة الشعر ورسالته في الحياة ، فلم يكن الشاعر الإصلاحي – إلا نادرا– ينظر إلى اللغة من جانبها الجمالي بهدف إثارة الإحساس الفني لدى المتلقي بقدرما كان يهدف إلى إيصال أفكاره إليه»[2] بحيث أن الشاعر في قصيدته: "في ذمة التاريخ" استعمل ميزتي التقريرية والمباشرة في لغته الشعرية وغرضه من ذلك هو الوصول إلى الحقيقة.

كما نلاحظ في القصيدة بروز ميزة تمثلت في تكرار الشطر الواحد وغرضه من ذلك هو توكيد المعنى ووضوحه ويتجلى ذلك في قول محمد العيد:

فكم من قائل أخشى وحوشا تدب بأرض باريس دبيبا

وكم من قائل أخشى زنوجـــا تبيح القتل والذام المعيبـــــا

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، مرجع سابق، ص13.
[2] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، مرجع سابق، ص282.

فقل للقائمين على فرنســـــا أنيبوا وارتاوا ريا لبيبـــــــــا

وقل للقائمين على فرنســـــا تعالوا فاشهدوا الخطب العجيبا[1]

فمحمد العيد من خلال هذه المقاطع قام بتكرار الشطر « فقل للقائمين على فرنسا» مرتين وغرضه من ذلك هو إيصال فكرة معينة للقارئ وتأكيدها.

3- التشكيل الموسيقي:

يعد الإيقاع الموسيقي في العمل الشعري من أهم العناصر التي يعتمد عليها هذا الفن، ذلك أن العلاقة بين الموسيقى والشعر علاقة ترجع إلى طبيعة الشعر نفسه الذي ارتبط بالغناء منذ نشأته ومن ثمة فإنهما يصدران من نبع واحد، وهو الشعور بالوزن والإيقاع.

ولعل من أبرز ما يلفت نظر الدارس لكتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر في الجزء الأول منه محافظة معظم الشعراء الكتاب على القصيدة العمودية وقد يرجع ذلك إلى أن أغلبية الشعراء الذين ضمهم الكتاب ك: محمد العيد آل خليفة ، محمد الهادي السنوسي الزاهري ، الطيب العقبي...الخ، كانوا تحت لواء حركة إصلاحية محافظة ، رأت في الحفاظ على القصيدة العربية التقليدية حفاظا على مقوم من مقومات الشخصية العربية الإسلامية لذلك ظلت نظرة الشعراء الجزائريين التقليدين المحافظين مرتبطة بنظرة النقد العربي القديم الذي يولي الجانب الموسيقي في العمل الشعري أهمية كبرى كما ظلت النظرة إلى إبداع الشعراء تقاس على أن الشعر عبارة عن كلام موزون مقفى.

---

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحديث، ج1، مرجع سابق، ص15.

وكانت القصيدة العمودية يغلب عليها النبرة الخطابية المعتمدة أساسا على التنغيم الذي يخلق وحدة نغمية في القصيدة وهي ميزة موجودة لدى معظم الشعراء الإصلاحيين بحيث ترتكز في صياغتها العامة على الأدوات المستعملة في الخطب عادة كأدوات الاستفهام ، والأمر والنهي والتوكيد وما إليها من الصيغ المعروفة في أساليب اللغة العربية الإنشائية ، ولقد تفشت هذه الظاهرة عند أغلب الشعراء الجزائريين العموديين بمن فيهم "محمد العيد آل خليفة"، بحيث يلحظ بروز هذه الظاهرة في شعره، ويتجلى ذلك في قصيدته "في ذمة التاريخ" بحيث أكثر من استخدامه للأسلوب الخطابي والأدوات المستعملة في الخطب كالاستفهام والأمر ونجد ذلك في الأبيات الأولى من قصيدته إذ يقول:

علام يظل دهرك مستريبا تسائله ويأبى يجيبـــــا؟

إلى أن يقول :

ألم يوقن بأن الخطب خطب تكاد له البصائر أن تغيبا...؟

ألم يوقن بأن الخطب أنحى على العمال شبانا وشيبـــا...؟[1]

فالشاعر – محمد العيد آل خليفة – في هذه المقاطع استعمل أسلوب الاستفهام وغرضه من ذلك هو مساءلة الدهر بأن يكشف عن حقيقة المستعمر و الجريمة التي ارتكبها في حق الشباب المهاجر على متن سفينة "سيدي فروج ".

[1] محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، مرجع سابق، ص14.

والموسيقى الشعرية ليست تلك التي تكون في الألفاظ والكلمات المستخدمة من قبل الشاعر فحسب، وإنما هي التي تكون البحر الذي يختاره الشاعر ، وكذا الروي المناسب، والشاعر الفنان حقا هو الذي يستطيع أن يحس بجريان الموسيقى في أبياته، حين يختار اللفظ، والكلمة والوزن، والروي الذي ينسجم مع نصه الشعري.

وبما أن أغلب الشعراء المحافظين كانوا يؤمنون بالنظرية النقدية القديمة التي تولي الجانب الموسيقي في العمل الشعري أهمية كبرى.

فنجد أن محمد العيد آل خليفة مثلا من المؤمنين بهذه النظرة فخرا وتطبيقا، فعند ما تهزه حادثة مأساوية ما فإن ذلك ينعكس في الوزن المختار المعبر عن مكنونات قلبه اتجاه هذه الحادثة.

ففي قصيدته" في ذمة التاريخ" التي يصف فيها معاناته وأحزانه يستخدم فيها بحر الوافر « لما يتميز به من خفة موسيقاه وعذوبة إيقاعاته»[1]، ولعل هذا ما جعل محمد العيد يوظف هذا البحر في قصيدته هذه، وبذلك جاءت أفكاره واضحة ومسترسلة متماشية مع البحر الذي اختاره.

إضافة إلى ذلك استخدم محمد العيد – قافية موحدة لازمت القصيدة من أولها إلى آخرها ، وهو ما زاد القصيدة جمالا هذا من حيث الموسيقى الخارجية.

[1] مختار عطية: موسيقى الشعر العربي، دار الجامعة الجديدة للنشر، 2008م، ص 192.

أما من حيث الموسيقى الداخلية والمتمثلة عموما في مخارج الحروف وتآلف الألفاظ والكلمات فإن الدارس لأشعار محمد العيد آل خليفة وخاصة القصيدة المذكورة سابقا يلاحظ العناية التي يبذلها محمد العيد في اختيار الألفاظ والكلمات ذات الرنين الموسيقي، مثل المشتملة على حروف الصفير كالسين والصاد فنجد ذلك في المقطوعة:

عــلام يظل دهرك مستريبــا تسائله ويأبى أن يجيبـــــا؟

ويغضي عن شكاتك مستخفــا كأنك في شكاتك لن تصيبا[1]

ويقول في أبيات أخرى:

وأن لها من الحسنى لحظـــا وأن لنا من الحسنى نصيبا

ألسنا المخلصين لها حضورا ألسنا المخلصين لها مغيبا...[2]؟

ولعل استخدام محمد العيد – لحروف السين والصاد بكثرة في هذه القصيدة خصوصا، هو ما أعطى قصيدته هذه رنينا موسيقيا خاصا تجلى في ألفاظها العذبة، إذن فإيقاع الحروف والتراكيب المستعملة عبر بشكل واضح على عواطف ومشاعر الشاعر – محمد العيد آل خليفة– تجاه القضية الوطنية التي أشرنا إليها سابقا.

إذن فموسيقى الشعر هي التي تخلق الجو الشعري ، كما أنها توحي بالظلال الفكرية والعاطفية لكل معنى، وهي التي تمثل بحق روح الشاعر وفنه لأنها تعكس كل العناصر

(1) محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، مرجع سابق، ص 13.
(2) محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، مرجع سابق، ص 14.

المجتمعة في شعره من عواطف وأفكار وأخيلة وهو ما لاحظناه من خلال دراستنا لقصيدته " في ذمة التاريخ".

خاتمـــــة:

كثيرون أولئك الشعراء الجزائريون الذين أحيوا الشعر الجزائري، غير أن الذين تمكنوا من بلوغ الهدف الأسمى في مجهودهم هذا هم قلة دون شك، كما أن الذين قطعوا الشوط الأبعد في إحيائه أقل من القلة ولذا فإن الشاعر الجزائري " محمد الهادي السنوسي الزاهري" ليعتبر بحق ممن استطاعوا أن ينهضوا بالشعر الجزائري وإحيائه، وذلك بتأليفه لديوان جامع لأشعار فئة من الشعراء الجزائريين تحت عنوان" شعراء الجزائر في العصر الحاضر" بجزأيه الأول والثاني والذي خصصنا الجزء الأول منه في بحثنا.

وقد توصلنا خلال بحثنا هذا إلى انه يوجد ارتباط وثيق بين إحياء اللغة العربية، وتطور الشعر الذي ارتبط بواقع الجزائريين وقد كان هذا الكتاب بدءا لتأسيس عمل أدبي جاد متمثل في تعاون الأدباء من أجل التعريف بهم، كما نلحظ شيوع ظاهرة الموضوعاتية في أشعارهم لكن رغم تعدد المواضيع، إلا أن غاية هؤلاء الشعراء تبقى هي نفسها كما أن الهدف واحد وهو التأكيد على قضية الإنتماء والشخصية الوطنية والعقيدة الإسلامية، هذه المبادئ الثلاثة التي حاول الإستعمار الفرنسي محوها، واقتلاعها من جذورها أثناء تواجده بأرض الجزائر. فما كان لهؤلاء إلا الدفاع عنها من خلال قصائد دونوها وخلدها الكاتب والشاعر "محمد الهادي السنوسي الزاهري" بتأليفه لكتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر".

قائمة المصادر والمراجع:

1- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،الدار التونسية للنشر،دط،1985م.

2- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1985م.

3- أبو القاسم سعد الله: محمد العيد آل خليفة، دار المعارف بمصر، ط1،دت.

4- أبو القاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي،الجزائر،دط، 1981م.

5- إبراهيم رماني:أوراق في النقد الأدبي،دار الشهاب باتنة،ط1، 1985م.

6- إيمان "محمد أمين" الكيلاني: بدر شاكر السياب، دار وائل للنشر، دط، 2008م.

7-الوناس شعباني: تطور الشعر الجزائري منذ سنة 1945م حتى سنة 1980م، ديوان المطبوعات الجامعية، دت.

8-حسين علي محمد: الأدب العربي الحديث الرؤية والتشكيل، دار الوفاء دنيا الطباعة والنشر، ط1، 2001م.

9-ديوان عنترة، دار صادر بيروت، دط، دت.

10- رابح تركي: الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية بالجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، ط5، 2001م.

11-عاشور شرفي: الكتاب الجزائريون قاموس بيوغرافي، دار القصبة للنشر، 2008م.

12- عبد الحميد غنام: محمد الهادي السنوسي الزاهري حياته وشعره، ط1، 2007م.

13- عبد الله الركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، بمطبعة القلم، تونس، 1983م.

14- عبد الله حمادي: أصوات من الأدب الجزائري الحديث، دار البعث قسنطينة،دط، 2001م.

15-عبد المالك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925م- 1954م، طبع للشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

16- عبود شراد:حركة الشعر الحر في الجزائر،دط،دت .

17- صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للفنون،وحدة الرغاية ،دط،1984 م.

18- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، 1981م.

19-محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط1، بالمطبعة التونسية، 1926م.

20- محمد الهادي السنوسي الزاهري: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج2، ط5، بالمطبعة التونسية، 1927م.

21- محمد الهادي بوطارن: رمضان حمود شاعر التقليد والتجديد،المطبعة الملكية،ط1، 2007م.

22- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ط1، دار العرب الإسلامي، 1965م.

23- محمد ناصر: رمضان حمود حياته وآثاره، ط2، 1985م.

24- مختار عطية: موسيقى الشعر العربي، دار الجامعة الجديدة للنشر، دط، 2008م.

25 - نوار جدواني: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،نشر بدعم من وزارة الثقافة،دط ،2008م.

الفهرس

- **المقدمة**.....أ-ب
- **تمهيد**.....03
- **الفصل الأول:** محمد الهادي السنوسي الزاهري وكتابه.

I- محمد الهادي السنوسي الزاهري.....09

1- حياته. 09

2- تعلمه وعلمه. 10

3- قرضه الشعر. 14

4- نشاطه الإصلاحي. 17

5- وفاته وآثاره. 20

II- **كتابه:** التعريف بالكتاب. 22

1- الشكل. 22

2- المضمون. 24

- **الفصل الثاني:** محتوى الجزء الأول من كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر

I- الشعراء الذين ورد ذكرهم في الجزء الأول من كتاب "شعراء الجزائر في العصر الحاضر".....32

II-**المواضيع التي تناولها الشعراء:** 36

1-الشعر الوطني. 36

2-الشعر البطولي. 38

3- الشعر القومي. 42

4- شعر الغزل السياسي. 45

5- الشعر الديني. 48

الفصل الثالث: تحليل قصيدة محمد العيد آل خليفة "في ذمة التاريخ" أنموذجا.

I- **تحليل القصيدة:** 51

1-شرح بعض المفردات الصعبة. 54

2-البحر المستعمل في القصيدة. 55

3-مناسبة القصيدة. 56

III- **الخصائص الفنية للقصيدة.** 57

1- الصورة الشعرية. 57

2- اللغة الشعرية. 59

3- التشكيل الموسيقي. 62

الخاتمة. 67

المصادر والمراجع.....68

الفهرس.....71